فتحي العشري

الإنسان... كلمة

شخصيات ودراسات.. عربية وغربية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٨

الاخراج الفنى : مراد نسيم

اهــــداء

هانى ونهى :

هذا كل ما أدخره لكما من رصيد ، وهذا كل ما أتركه لكما من ميراث .. الكلمة !

فتحى

مقدمة

الانســـــان ٠٠ كلمة

لماذا هذا العنوان ، لهذا الكتاب ؟!

لما كان هذا الكتاب ، يضم تصنيفين وأربعة أقســـام ، حول الشخصيات والدراسات العربية والغربية ، برز الانســـان وبرزت الكلمة ٠٠ الانسان ـ أو الكاتب ـ الذى يقول كلمة ـ أو كلمته ـ ليصبح الاثنان فى واحد أو ليصبح الانسان كلمة ٠٠

أما عن الشخصيات العربية والغربية فهى نماذج معبرة ، من منطلق أنها علامات على الطريق ظهرت وتأكدت وأثرت مع مطلع قرننا العشرين وعبر السنوات هذا القرن المشحون ٠٠ فبعد أن كان كل قرن يوصف بصفة واحدة ، مثل القرن السادس عشرأو عصر النهضة ، والقرن السابع عشر أو عصر الأدب والقرن الثامن عشر أو عصر العقل ، والقرن التاسع عشر أو عصر العلم ، أصبح من

الصعب أن يوصف القرن العشرين بصفة واحدة ، فهو عصر التكنولوجيا وعصر الفضاء وعصر الذرة وعصر الحروب الباردة وعصر حرب الكواكب وعصر البترول وعصر الأقمار الصناعية وعصر التليفزيون وعصر الكومبيوتر وعصر الدبلوماسية وعصر أطفال الأنابيب وهكذا ..

كما أنها شخصيات تمثل تواصل الأجيال وامتدادها وتمددها سواء بالفكر الواحد أو بتنوع الأفكار . فالفكر الانسانى له احترامه وقدسيته دون تصارع أو صراعات مهما اختلفت الرؤى أو تناقضت الاتجاهات ، فى الشرق أو فى الغرب على حد سواء ..

وهو لم يكن اختيارا أو انحيازا لهذه الشخصيات ولكنها الظروف والمناسبات هى التى جمعت بينهم ولمت شملهم بين دفتى هذا الكتاب ..

ولا يعنى هذا أنها الأفضل ، فكم كان القلم يتشوق ومايزال لتناول العديد من الشخصيات التى لا تقل أهمية بل ربما تزيد ..

وأما عن الدراسات العربية والغربية فهى تنصب على قضايا أدبية وفكرية مثارة أو كانت فى حاجة الى أن تثار .. وهى قضايا حيوية وهامة ، ملحة وعاجلة ، تنتظر الحلول التى لابد أن تجىء من المثقفين أنفسهم ، حتى تستقيم الأمور وتستقر الأوضاع ، وتتاح الفرصة كاملة للانسان لكى يقول كلمته ، وللكلمة لكى تلعب دورها الفعال فى الناس وفى الحياة ..

فتحى العشرى

شخصيات عربية

العقاد .. ابن أســوان العملاق

فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٦٤ توفى العقاد عن خمسة وسبعين عاما فى بيته العتيق بمصر الجديدة بالقاهرة ولكنه دفن فى اليوم التالى بمسقط رأسه أسوان متحديا بذلك الرقم ١٣ الذى لم يكن يتشاءم منه على الاطلاق .. فقد كان مسكنه يحمل هذا الرقم وحبس احتياطيا فى سجن قرة ميدان لمدة تسعة أشهر ابتداء من ١٣ اكتوبر عام ١٩٣٠ .

ولد العقاد فى ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ ، وانتقل الى القاهرة لأول مرة عام ١٩٠٤ ليعين موظفا ولكنه لم يستقر فى أية وظيفة وعاش طوال حياته من قلمه الذى ساهم فى تحريك ثورة الجماهير على المستعمرين عام ١٩١٩ .

بدأ حياته فى العاصمة مستأجرا لحجرة صغيرة بثلاثين قرشا فى الشهر .. وأول مقال كتبه نشر فى جريدة الوطن وأول حديث صحفى أجراه مع سعد زغلول ناظر المعارف فى عام ١٩٠٨ ونشر بالدستور .. وكان « العقاد » يوقع مقالاته فى بداية عمله الصحفى

فى « الاخبار » القديمة التى كان يصدرها يوسف الخازن وتوفيق حبيب باسم (ع · الأسوانى) ··

كان « العقاد » منحازا الى حزب الأقلية والى سعد زغلول زعيمه ، وكان يدافع عن القضية المصرية فحارب حربا ضارية من أجل الدستور وارساء الحياة النيابية ·· هاجم الملك فؤاد عندما حاول تعطيل الحياة النيابية ووقف على منبر البرلمان ليقول قولته الشهيرة ، « ان شعبنا قادر على سحق أكبر رأس يتعرض لحرياته » ومن أجل ذلك هوجم واضطهد حتى فى رزقه وكان مصيره السجن ·

انتخب « العقاد » مرتين عضوا فى مجلس النواب ، وعين مرتين عضوا فى مجلس الشيوخ ·· وكان أديبا ، موسوعيا أو كان موسوعة أدبية ·· فعقله يستوعب علوم الذرة كما يستوعب الشعر ·· كانت مكتبته الخاصة تضم ٤٠ ألف كتاب فى مختلف المعارف الانسانية العربية والأجنبية ·· أما مؤلفاته فوصلت الى ٨٥ كتابا فى الآداب والفنون والعلوم الانسانية والاسلاميات ، وأشهرها وأبرزها سلسلة « العبقريات » ··

وكان « العقاد طويل القامة عنيدا ومعتزا بنفسه وكرامته ·· علم نفسه بنفسه فلم يعبأ بالشهادات بعد أن قطع دراسته الثانوية ورفض « الدكتوراه الفخرية » بعد ذلك لأنه لم يجد من هو أكفأ منه ليقرر أن يمنحها له ·· وكان شديد القسوة على نفسه حتى ان « سعد زغلول » وصفه بأنه « جبار خجول » فكانت له مواقف عنيفة مع خصومه وأصدقائه على السواء مصـــدرها الحق والمبادىء ومصلحة الشعب ·· وهكذا لم يعتمد فى شق طريقه الا على نفســه وبقوة عزيمته وارادته الصلبة ·· فحقق مكانة رفيعة بين ابناء وطنه وفى العالم العربى وفى أوساط كثيرة من العالم ·· وحصل على جائزة الدولة التقديرية بعد حصول عميد الأدب العربى طه حسين عليها مباشرة ··فكثيرا ما كان العملاقان يوضعان على نفس

المستوى من التقدير الا أن عناده وكبرياءه كثيرا ما كانا يجعلانه يجىء فى التكريم بعد طه حسين لهدوئه ومرونته ··

أما « ندوة العقاد » الشهيرة فكانت تعقد يوم الجمعة من كل أسبوع فى بيته حيث يجتمع تلاميذه ومريديه ، فتدور المناقشات ويرد على الأسئلة والاستفسارات بسعة صدر وأحيانا بالنكت الظريفة والذكريات الأليفة بين أكواب الليمون وفناجين القهوة ·· ولم يكن العقاد يغادر بيته الا ليحضر جلسات مجمع اللغة العربية الذى كان عضوا فيه ·· وجلسات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الذى كان مقررا للجنة الشعر فيه ·

قال العقاد عن نفسه : « اننى رجل مفرط فى التواضع ورجل مفرط فى الرحمة واللين ·· ورجل لا يعيش بين الكتب الا لأنه يباشر الحياة ·· رجل لا يفلت لحظة واحدة فى ليله ونهاره من سلطان القلب والعاطفة ·· ورجل وسع شدقيه من الضحك ما يملأ مسرحا من مسارح الفكاهة فى روايات شارلى شابلن جميعا ·

معارك العقاد

من أبرز معارك العقاد التى دارت على صفحات الجرائد والمجلات تلك التى بدأها مع « مصطفى صادق الرافعى » ، فقد كان العقاد والرافعى يتنازعان صداقة « سعد زغلول » وحبه وكان كل منهما يسعى الى أن يكون كاتب الحزب فأخذ كل منهما ينقد سلوك الآخر وكتاباته وكتبه ايضا ، نقد العقاد « اعجاز القرآن » ونقد الرافعى « وحى الأربعين » ·· ولكن الرافعى قبل أن يموت كتب يقول « اما العقاد فانى أكرهه واحترمه ·· أكرهه لأنه شديد الاعتداد

بنفسه قليل الانصاف لغيره ولعله أعلم الناس بمكانى فى الأدب ولكنه ينعى على قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان » .

ثم هاجم العقاد « أمين الرافعى » هجوما سياسيا ضاريا لأن الرافعى كان ينتمى الى الحزب الوطنى ويريد أن يربط بينه وبين حزب الوفد .. وعندما توفى الرافعى كتب العقاد يرثيه : « رأيت أمينا فى قوة جسده وأمينا فى قوة نفسه ورأيت كيف يعمد الايمان الجسوم النافية فهى منه فى ملأ عزيز الحوزة منيع الجـــانب » .

ثم نقد العقاد أحمد شوقى فى شعره وفى مسرحياته كما قال عنه « استطاع أن يقحم اسمه على الناس بالتهليل والتكبير والطبول والزمور فى مناسبة وغير مناسبة وبحق أو بغير حق .. ان المجد عنده سلعة تقتنى ولديه الثمن فى الخزانة » وقال : « أن شعره بمعان شائعة فى صياغة مقبولة ولعب لايؤخذ صاحبه على خطأ .. » .

ثم هاجم العقاد « طه حسين » الذى هاجمه بدوره ولكنه كان فى كل الأحوال هينا لينا ، لم يصل الى ما عرف من عنف طه أو عنف العقاد فى الخصومة حتى ان العقاد دافع عن كتاب طه حســـين « الشعر الجاهلى » وبايع طه حسين العقاد أميرا للشعر وقال طه حسين « لقد هاجمت العقاد فى غير موطن من مواطن الخصومة ، خاصمته فى السياسة وخاصمته فى الأدب وخاصـــمته فى السياسة والأدب أيضا ، ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد فى نفسى . وما أظن أن بين أتراب العقــاد ومعاصـــريه من يقدره مثلما أقدره أنا وأكبره ، وليس يعنينى أن يكون رأى العقاد فى كرأيى فيه .. والذين عاصروا خصوماتى للعقاد يذكرون من غير شـــك أننى أثنيت على أدبه فى جريدة السياسة حيث كانت الخصومة بين الوفد والدستوريين كأعنف ما تكون الخصومات وقد كانت الحرب سجالا بينى وبينه ولم يمنعه ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم فى

مجلس النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على « حربا » ٠

ثم هاجـــم العقاد « محمد حسـين هيكل » و « لطفى السيد » و « مكرم عبيد » و « زكى مبارك » وأخيرا « توفيق الحكيم » الذى كتب يقول ردا على مقال للعقاد « وفى الحق لم أجد بالمقال الرقة التى كنت أنتظرها واستاء فى نفسى من الأستاذ العقاد بعض الأشياء وأنا الذى يعتقد دائما أنه يخفى وراء قناع الكبر والتكبر نفســـا طيبة تتفجر اذا اطمأنت بأجمل عاطفة وأنبل احساس » ٠

شـــاعرية العقـــاد

كتب صلاح عبد الصبور يقول : اذا كان الشاعر من تعرفه بشعره فالعقاد شاعر من شعراء العربية المتميزين ذلك لأن العامة يستطيع حين يقرأ شعر العقاد أن يميزه عن شعر سابقيه ومعاصريه وان يدرك أن لهذا القلم المعــبر رؤيته الخاصـــة ولغته المتميزة وموضـــوعاته الأثيرة ٠٠ وتلك ثلاث خصـــال هى من امارات الشاعرية » ٠

ومن أشعار العقاد هذه الأبيات :

يا يـوم موعـــدها البعيـــد ألا ترى
شـــــوقى اليك وما آشـــــاق لمغنم

شـــوقى اليك يـكاد يجـذب لى غدا
من وكره ويـــــكاد يطفـر من فهمى

اســـرع بأجنحة الســـماء جميعها
ان لم يطعك جنـــــاح هذى الانجم

ودع الشـــموس تســـير فى داراتها
وتخطهـــا قبـــل الأوان المـــبرم

العقـــاد فيلســـوفا

وقال الدكتور عثمان أمين ـ رحمه الله ـ عن فلسفة العقاد :
« العقاد رائد من رواد الوعى الانسانى فى الشرق العربى ، وأثر العقاد فى حياتنا الروحية أثر لا سبيل الى اغفاله أو التهوين من قدره مهما تقول المتقولون ومامن شك عند المنصفين أن النهضة الفكرية المصرية قد بلغت بجهده ويقظته مرحلة لم تكن لتبلغها بدونه فهو فى تاريخ أمتنا العربية « معلمة » ضافية شاملة لم ينقطع يوما فى حياته الزاخرة عن اعمال ذهنه تطلعا الى المعرفة وتأملا فى الكون وتقصيا لاســـرار النفس حتى ظفر بمقام « الأســـتاذية » بمعناها الصحيح .. فكان فى أحاديثه ومقالاته ومؤلفاته أستاذا أصيلا ضليعا واستطاع فى حياة قلمه اليانعة المتعددة الجوانب أن يؤدى فى حب واخلاص ـ المهمة الرئيسية لكليات الانسانيات فى جامعات العصر الحديث واضحى نورا باهرا يشع على مجالات الأدب والصحافة والسياسة والتاريخ والفن والدين .. » ..

العقاد والفنون التشكيلية

وقال بدر الدين أبو غازى ـ رحمه الله ـ : « ليس من جيل العقاد مفكر أو أديب مثله عكســـت كتاباته واهتماماته بالفنـــون وأفصحت منذ البدء عن وجهة نظر بل عن يقين فى ضـــرورة الفن

للمجتمع ، وعن مدلول الفن الجميل فى نظره ، ومصاحبة العقاد فى كتاباته تطلعنا على منهج متماسك فى النظر الى الأعمال الفنية ويصدر عن خلفية فلسفية لمعنى الجمال عنده ·· ويقدم أمثلة تطبيقية تشير الى ذوقه ومطالبه من العمل الفنى ، وتجدد مدارس وأعمالا يؤثرها بحبه » ··

وبعد هذا كله كان العقاد مؤرخا وسياسيا واسلاميا كما كانت له مواقف كثيرة ومتنوعة ·· لقد كان بحق عملاقا لا يتكرر فى تاريخ مصر الزاخر بالرجال والمواقف ··

ومن حق أسوان أن تفخر بالعقاد ابنا بارا وعلما متميزا ، يكفيه عطاء لها أن ولد فيها ودفن فيها ·· فماذا ردت له من جميل ؟ فالعقاد يستحق ولاشك الكثير ونحن ننتظر ولاشك أيضا الكثير ··

على بعد كيلو واحد من « مغاغة » مركز « المنيا » وفى قرية « الكيلو » بالتحديد ولد « طه حسين » الذى عاش حياة فقيرة أدت الى فقدانه بصره والإنتقال الى القاهرة ليدرس دراسة عادية بالأزهر الشريف ·· ولكن الطفل الذى تحدى ظروفه الاجتماعية والشخصية ·· لا يكتفى بدراسات الأزهر فيلتحق بالجامعة المصرية ويتفوق فى دراسته حتى يحصل على أول دكتوراه ·· وبل ويخرج الى الحياة الثقافية والسياسية فيشارك بالمقالات والآراء الجديدة الجريئة ليتوج طموحه بالحصول على بعثة دراسية الى فرنسا فينهل من الثقافة الغربية والحضارة الأوروبية دون أن ينفصل عن ثقافته وحضارته ويعود ليتولى عمادة كلية الآداب التى تخرج فيها ثم مديرا للجامعة ثم وزير للمعارف ليطلق صيحته الشهيرة مطالبا بأن يصبح العلم كالماء والهواء حقا لكل مواطن ··

وفى الذكرى السادسة لرحيل ابن الصعيد عميد الأدب العربى ، احتفلت كلية الآداب بجامعة القاهرة بهذه الذكرى واقامت مهرجانا لمدة أسبوع بدأته بندوة علمية موسعة شارك فيها من أســـبانيا « بدورماتنيز » متحدثا عن « بيئة طه حسين الأدبية وجيل ١٨٩٨ » و « كارمن رويت » متحدثة عن « طه حسين وايوخين نيودرويس » · ومن ايطاليا تحدث « امبرتو ريتسيتانو » عن « طه حسين والاستعراب الايطالى » ·· ومن أمريكا تحدث « واستسن كاول » عن « منهاج طه حسين فى نقده لشعر المتنبى » ·· ومن انجلترا تحدث « محمد مصطفى بدوى » عن « نظرة أخرى فى طه حسين الناقد الأدبى » ·· ومن تونس تحدث « محمد عبد السلام المسدى » عن « الترجمة الذاتية

بين الاسقاط النفسى والبناء الانشائى فى كتاب الأيام » ·· ومن الكويت تحدث « توفيق الفيل » عن « طه حسين رائدا للبحث البلاغى الحديث » ·· ومن مصر تحدث « محمود فهمى حجازى » عن « الرؤية الثقافية عند طه حسين » وتحدثت « انجيل بطرس » عن « الاحساس بالمكان فى الأيام » ·· وتحدثت « أمال فريد » عن « أثر الثقافة الفرنسية على مؤلفات طه حسين » ·· وتحدث « عز الدين اسماعيل » و « رجاء عيد » و « محمد عويس » عن « أعمال طه حسين » ··

وبعد هذه الندوة التى قرر الدكتور « حسين نصار » ضـــم أبحاثها فى كتاب تصـــدره جامعة القاهرة ، أقيم بالمكتبة المركزية بالجامعة معرض لكتب طه حسين المختلفة والتى صدرت فى اللغات الأخرى ·

كما افتتح بقصـــر المانسترلى بالمنيل تحت اشـــراف « عباس شهدى » نقيب التشكيليين الأسبق معرض يضم اللوحات والتماثيل والأعمال الفنية التى اتخذت من طه حسين مادة وموضوعا لها ··

وعرض فيلم « قاهر الظلام » فى عرض خاص شاهده المحتفلون بذكرى طه حسين السادسة ·

وفى الليلة الختامية للمهرجان أقيم بالمسرح القومى حفل ضم أمسية شعرية وأخرى مسرحية ··

وقد اشترك عدد من الشعراء بقصائدهم التى ألقوها بأنفسهم وهى فى معظمها تتحدث عن طه حســـين كظاهرة وحقيقة ·· أما المسرحية فتحمل هذا الاسم « العمر قضية » وهى مسرحية تسجيلية كتبها الدكتور « سمير سرحان » والدكتور « محمد عنانى » وأخرجها « فهمى الخولى » وقام بالتمثيل هواة المسرح بجامعة القاهرة ·

وقد اعتمد الكاتبان على « أيام » طه حسين بصفة خاصة فى تصوير حياته ومواقفه كما اعتمدا على مؤلفاته الأخرى فى تأكيد تأثيره على الحياة الثقافية فى مصر وفى الوطن العربى ، ثم رجعا الى التاريخ المعاصر ليجسدا معارك طه حسين الفكرية والسياسية ٠

وجاء العرض شريحة حية من حياة العميد وأدبه وفكره ٠٠ وفى هذا الاطار التسجيلى الذى لا يخلو من رأى ووجهة نظر تناول المخرج النص تناولا فنيا رغم الامكانات الضعيفة فى الديكورات والملابس والعناصر التمثيلية المحدودة ٠٠ فاستطاع أن يشكل المكان الواحد بايحاءات بسيطة ومتنوعة ، لينقلنا من مكان الى آخر بسهولة ويسر ٠٠ وكان أهم ما قدمه لنا فى هذا العرض اكتشافه لعدد من المواهب الجامعية التى تستطيع اذا أرادت أن تحترف التمثيل أن تشق طريقها وسط الزحام حتى تصل الى الصفوف المتقدمة ٠٠ « نظيمة ماجد » التى ادت دورى الراوية ومى ، فكانت شعاعا من النور الفياض والحركة المتدفقة والتعبير البكر الصادق ٠ و « منى ابراهيم » التى ادت دورى الرواية وسوزان ، فوازنت بدقة بالغة بين أسلوب المسرح التسجيلى فى عرض الأحداث دون تدخل وأسلوب المسرح الدرامى فصورت شخصية زوج العميد بأحاسيس صادقة وعاطفة فياضة ٠٠

ان تتكون جمعية ثقافية جديدة بعد أن توقفت ظاهرة تكوين الجمعيات وأن تبدأ نشاطها بهذه البداية الطيبة وهى اقامة حفل أو احتفال أدبى نقابى رسمى على مستوى رفيع تخليدا لذكرى الرائد المفكر الصحفى الدكتور محمد حسين هيكل الذى تحمل الجمعية اسمه فى مناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على رحيله فى وقت تقلص فيه أوكاد نشاط الجمعيات الأخرى المكونة بالفعل يعد حدثا كبيرا وجليلا فى حياتنا الثقافية اليوم ٠٠

هذا الحدث الثقافى الكبير والجليل قادر ولاشك على تجديد التيار وتحريك المناخ وجلب نسمة أو نسمات كفيلة بخلق جو من الحيوية واليقظة والنهضة المفتقدة منذ وقت طويل ٠٠ طويل ٠٠

فالى جانب احياء ذكرى الدكتور هيكل والعمل على احيـــاء ذكرى عدد كبير من الرواد الاوائل تعد « الجمعية » برنامجا حافلا على مدار العام يتضمن ندوة أو محاضرة شهرية لمناقشة الانتاج الأدبى ــ رواية أو مسرحية أو ديوان أو مجموعة قصصية أو دراسة ــ والظواهر والقضايا الثقافية فضــــلا عن المســـابقة السنوية ذات الجوائز المادية والأدبية التى تتناول فى كل عام جانبا من جوانب الدكتور هيكل المتعددة والمتنوعة والسعى الجاد لنشر الأبحاث التى ترقى الى المستوى الجيد اللائق ، فى المجالات المتخصصة أو فى كتب تصدرها الجمعية على نفقتها الخاصة ٠٠ فقد رصدت « أسرة المفكر الراحل » مبلغا سنويا بالاضافة الى ريع كتبه للانفاق على اغراض الجمعية الثقافية ٠

ولاشك أن أنتخاب مجلس ادارة للجمعية من الطاقات المبدعة الرصينة **والشابة برأسه شيخ الصحفيين الأستاذ** حافظ محمود ابن الدكتور هيكل الروحى وتلميذه البار لمؤشر مبشر بعطاء سخى وجهد وفير وفكر واع من شأنه فتح آفاق جديدة نرنو اليها جميعا وتحقيق أهداف سامية نتطلع اليها بشوق وحماس ..

ولعل الحجر الصغير الذى يحرك ولو جزء من المياه الراكدة **يصبح دافعا للاحجار الصلدة الأخرى للمشـــاركة** فى اذابة الجليد وجريان الماء عذبا رقراقا .

وهذا ما حدث بالفعـل فى اليوم الذى أعلنت فيه الجمعية عن احتفالها الكبير فقد قررت كلية الاعلام ورابطة الأدب الحديث وكرمة ابن هانىء والنادى الثقافى المصرى وجامعة المنصورة وقصر ثقافة المنصورة **اقامة ندوات وأمسيات وحلقات** دراســـية تتناول جميعا شخصية الدكتور **هيكل وفكره** مشاركة منها تكثيفا وتعميقا كذلك ساهم « التليفزيون » و « الاذاعة » بالعديد من برامجهما .

كما ساهمت الصحف والمجلات بالكثير من الاخبار والمقالات والقصائد وأهم من هذا كله أن تلامذة **ومحبى الشاعر الكبير** « عزيز أباظة » فكروا بالفعل فى تكوين جمعية ثقافية تحمل اسم الشـــاعر الراحل تبدأ نشاطها بالاحتفال بالذكرى العاشرة لرحيله .

أليست هذه الفكرة ثمرة سريعة وان كانت تنتظر الاقتطاف **شأنها شأن ثمار أو أفكار أخرى ستخرج حتما وقريبا الى دائرة الضوء والنور** .

فى التاسع من اكتوبر عام ١٩٨٣ بلغ شيخ مفكرينا وأدبائنا « توفيق الحكيم » عامه الخامس والثمانين ٠٠ وبرغم اشـــتهاره بالبخل الشديد ، الا أن أسرته كانت تتمتع بشىء من الثراء والكرم، فقد ولد فى ظل تلك الأسرة الثرية الكريمة بالاسكندرية فى التاسع من اكتوبر عام ١٨٩٨ ، وحصل على ليســـانس الحقوق عام ١٩٢٤ وانخرط فى السلك القضائى مثل والده المستشار المرموق ٠٠

ولكن الحكيم البخيل الأديب الفنان ، آثر أن يختلف عن أسرته فى كل شىء ، فاشترك فى الحركة الوطنية بالتظاهر مع الطلبة وشارك فى الحركة الفنية بكتابة مسرحيات تهاجم الانجليز وأشهرها مسرحية « الضيف الثقيل » كما ساهم فى الحركة الاجتماعية الآخذة فى التغير بمسرحيات تعالج مشكلات المرأة الجديدة مثل « المرأة الجديدة » و « جنسنا اللطيف » و « الخروج من الجنة » ٠٠

والواقع أن والده أراد أن يبعده عن كل هذه التيـــارات ـ الفاسدة من وجهة نظره ـ فأرسله على نفقته الخاصة الى باريس للحصول على الدكتوراه ، ولكنه ساعده فى الحقيقة على التواجد فى الجو الفنى الذى كان يحلم به ، وهكذا عاش الحكيم وعايش المسرح والمسرحيين دون أن يذهب الى الجامعة أو يختلط بالجامعيين ولو مرة واحدة وعاد بعد ثلاث سنوات ليعمل ـ رغما عنه ـ وكيلا للنائب العام بالمحاكم المختلطة ، ثم ترك النيابة وعمل بوزارة المعارف العمومية فوزارة الشـــئون الاجتماعية فمديرا لدار الكتب فمندوبا مقيما لمصر باليونسكو بباريس مرة أخرى ٠٠ وعندما عاد الى مصر

هذه المرة ترك العمل والوظيفة نهائيا ليستقر بجريدة الاهرام كاتبا متفرغا ورئيسا فخريا لمجلس الادارة ٠

فى هذه الفترة المليئة بالتنقل والعمل والحركة كتب الحكيم أهم وأخصب انتاجه من رواية ومسرحية ومذكرات ودراســـات فكتب يوميات نائب فى الارياف ٠٠ وذكريات فى الفن والعدالة ٠٠ وعصفور من الشرق ٠٠ وزهرة العمر ٠٠ وأهل الكهف ٠٠ وعودة الروح ٠٠ ثم أخذت المطبعة تتلقى انتـــاجه وأخذ القراء يتلقفون هذا الانتاج وأبرزه : السلطان الحائر ٠٠ والصفقة ٠٠ والورطة ٠٠ وشمس النهار ٠٠ والطعام لكل فم ٠٠ وياطالع الشجرة ٠٠ وتحت شمس الفكر ٠٠ وشجرة الحكم ٠٠ وسجن العمر ، حتى وصل مجموع انتاجه الى ما يعادل سنوات عمره ٠٠ وهى ظاهرة لم تحدث الا بالنسبة للعقاد وأنيس منصور ــ كمثالين بارزين ــ وعدد قليل آخر من الكتاب والمفكرين ٠

لا يصبح غريبا بعد هذا ، أن يؤثر توفيق الحكيم فى كتاب جيله والأجيال التالية ، ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى الوطن العربى على أقل تقدير ، وان لم يكن قد تأثر به كتاب فى الشرق والغرب ، خاصة بعد أن ترجمت معظم مؤلفاته الى العديد من اللغات فى مقدمتهـــا الفرنسية والانجليزية والايطالية والروسية والاســـبانية واليونانية والألمانية ، بل وعرضت بعض مسرحياته على مسارح العديد من دول العالم الشىء الذى لم يحظ به كاتب عربى آخر ، بل أى كاتب من العالم الثالث اجمع ٠٠

وعلى الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من صدور عشـــرات الكتب عن حياة الحكيم وطرائفه وأحاديثه ومسرحه وفكره ، وعلى الرغم أيضا من فوزه بأعلى الجوائز وحصوله على أرفع الأوسمة وتمتعه بتقدير الرؤساء والكتاب والقراء ليس فى مصر وحدها ، ولا

فى الوطن العربى بأســـره ولكن فى العالم أجمع ، الا أن « الجائزة المغرضة » المعروفة باسم « نوبل » تعمدت الا تشرف بوضع اسم « الحكيم » فى قائمة الفائزين بها على مر السنين ··

الأمر الذى لا يضيره ولا يرفع من شأنه فى الوقت نفسه ··

فقدره ومقدرته محفورتان فى ضمائرنا كما ستحفران فى سجل التاريخ ··

كان – ولايزال – مسرحنا المصرى يعانى من أزمة حادة ٠٠ وكنت – ولا أزال – انتقده بشدة مستهدفا ، بجهدى المتواضع الى جانب قلة من المتحمسين المخلصين الخالصين ، تقويمه وترشيده ٠٠ وكان – ولايزال – المسرحيون والمسئولون عن المسرح يغضــبون لكلماتى ويبالغون فى غضبهم الى حد الخصام – ولدرجة العراك ٠

وعندما تولى « يوسف السباعى – مهام وزارة الثقافة والاعلام دس له المغرضون وأخذوا يعمقون الفجوة بينه وبينى رغم صلتى الضعيفة به ، فلم أكن بغير عمد أو سبب من المقربين اليه ٠٠ الى أن دعانى شاعرنا الصديق « صلاح عبد الصبور » للقائه وتفويت الفرصة على الموتورين ٠٠ وذهبت اليه حاملا عددا من الأسئلة المباشرة حول « أزمة المسرح » فاستقبلنى بوجه بشوش خال من أية ملامح للضيق أو التبرم على عكس ماتوقعت ٠٠ وحدد لى موعدا آخر للرد على أسئلتى الجريئة – كما وصـــفها – ولكن الظروف الخارجة عن ارادتنا شاءت الا يتم هذا اللقاء حتى تركه للوزارة ٠٠ وتشاء الظروف مرة أخرى أن التقى به صدفة فى « مصعد الاهرام » بعد فترة من توليه رئاسة مجلس ادارته ورئاسة تحريره ، فيدعونى بروح الفارس الى مكتبه ليسألنى بلا مقدمات سؤالا محددا « أنت شيوعى ؟ » فأجيبه بلا تردد اجابة قاطعة « لا » ٠٠ وعلى الفور طلب منى أن أواصل الكتابة فى النقد ولكنه طلب منى أيضا الا أكتب عن شىء مسرحية كانت أو كتابا أو شخصا الا اذا أحببته حتى لا يتحول النقد الى تجريح وحتى لا أفقد حب الآخرين أو تفاديا للعداوات على أقل تقدير ٠٠ واتفقنا على هذا المبدأ ٠٠

وبعد رحيل **اديبنا الفارس وفارسنا الأديب** واستشهاده فوق ساحة الحب فى يوم المولد النبوى الشـــريف ـ دليل طهارة النفس وصدق الايمان ـ لم أجد صعوبة فى العثور على الاجابة التى لم ترحل **فهى قائمة وباقية فى كل كتاباته وكل كلماته وخاصـــة** فيما كتب للمسرح ٠٠ فى « أم رتيبة » سنة ١٩٥١ ، فى « وراء الستار » سنة ١٩٦٢ ، فى « جمعية قتل الزوجات » سنة ١٩٦٥ ، فى « أقوى من الزمن » سنة ١٩٧١ ، وفى « العمر لحظة » و « الحرب والسلام » سنة ١٩٧٤ ٠٠ ففيها جميعا يؤكد ان الخلاص فى الحب وللحب وبالحب ٠٠

وهو اذ يعنون كتابه الأخير بهذا العنوان الخلاق « مصـــر المشكلة والحل » ، انما يعلمنا أيضا أن « الحب هو المشكلة وهو الحل » ٠٠ على الرغم من أن الحب معه والحب له لم يكن مشكلة على الاطلاق ٠٠ فقد عاش « يوسف السباعى » بالحب واستشهد من أجل الحب ٠٠

ثروت أباظة الانسان قبل الأديب ·· والأديب قبل الكاتب ·· والكاتب قبل المسئول ·· والمسئول قبل السياسى ··

بهذا الترتيب تتضح معالم شـــخصية الرجل ، الذى هاجمه الكثيرون عن غير حق ، واتهمه الكثيرون بالباطل ·· وفى المقابل دافع عنه الكثيرون بشىء من المبالغة وامتدحه الكثيرون بقدر من المغالاة ··

وهكذا لم يجد من ينصفه ان سلبا أو ايجابا ، فلم يوضع فى مكانه ولم ينل مكانته ، بغض النظر عن كتبه التى ارتفع توزيعها وقدمت فى الاذاعة والتليفزيون والسينما وبغض النظر عن الكتب التى صدرت عنه وعن أعماله ، وبغض النظر عن جائزتى الدولة التشجيعية والتقديرية اللتين حصل عليهما فى عهدين ســـياسيين مختلفين ، وبغض النظر عن الحفلات والاحتفالات التى اقيمت تكريما له فى العديد من المناسبات ··

ولا أدعى أنى منصفه أو مقدره حق قدره ، ولو بالايجاب ، لانى لن أكون ذلك المتحدث بالسلب ، وخاصة بعد أن عرفته عن قرب ، وتعاملت معه فى العمل ، وشاركته أفراحه وشاركنى أتراحى ··

ومن هنا أبدأ بانسانيته التى يعرفها ويفيد منها أعداؤه قبل أصدقائه ، فهو ذلك الكريم عن سخاء لا عن ثراء ، وهو ذلك المعين عن ود لا عن أسر وهو ذلك المجامل عن تعاطف لا عن عطف ، وهو ذلك المساند عن حب لا عن كبر ·· سواء كان ذلك على المستوى الشـــخصى أو على مستوى الخدمة العامة أو الخـــدمات المهنية والفئوية ، فى الجمعية العمومية لمؤسسة الاهرام وعلى رأس مجلس اتحاد الكتاب ونادى القصة كاملة حية ··

أما الأديب ثروت أباظه فهو الروائى الذى قدم أعمالا تتميز بالتجديد والتجدد وهو وان كان يكن كل التقدير والاعزاز للرائد الكبير نجيب محفوظ ، واضعا اياه فى مكانة الاستاذ ، الا أنه لم ينقل عنه أو يقلده أو يسير فى اتجاهه أو يسبح فى تياره كما أنه لا يعارضه أو يناقضه بالضرورة ، وانما قد خط لأدبه قناة اقليمية خالصة يحاول من خلالها أن يستصلح أرض الرواية العربية الجرداء وأن يزرع فيها نباتا أصيلا لا نباتا شيطانيا أو دخيلا ·· وهو اذ يستخدم الرمز الموحى والمعادل الموضوعى ،انما يستعين بهما على المحظور والمحاذير لكى يعبر عن الواقع كشفا عن الحقيقة وصولا الى استعادة الحق والخير والحرية ··

هكذا كتب « شىء من الخوف » و « هارب من الأيام » و «لقاء هناك » و « خيوط السماء » ··

ومن أجل هذا ظل يدافع عن ثلاثيته المجيدة « الحق والخير والحرية » فى كتاباته الصحفية ، وبتلك الحدة التى تكشف عن غيرته وحرصه وايمانه بما يكتب ، ليس ركوبا لموجة أو تقربا لسلطان أو بوقا لحاكم ، رغبة فى مال أو منصب أو جاه ، بدليل أنه ظل الى وقت قريب بلا وظيفة أو عمل غير وظيفة الكاتب وعمله ، وبدليل أنه هاجم الحاكم فى أوج مجده وامتدح حاكم آخر بعد موته ··

وعندما اسندت اليه مسئولية العمل الصحفى من قبل الدولة فى مجلة رسمية ثم فى جريدة شبه رسمية ، ظل ملتزما بمبادئه وآرائه، صادفت هذه المبادىء وتلك الآراء هوى السلطة أو لم تصادف هواها ··

ولعل ثروت أباظة هو الذى أضفى – وربما دون أن يقصد أو يتعمد – بعدا جديدا ومذاقا خاصا لفكرة الالتزام أو قضية الالتزام ، بعد أن أستأثر بها اليسار دون غيره من التيارات الأخرى ·· فهو

بالمعنى العكسى أو المغاير ، ملتزم كل الالتزام ، متمسك به ، متربع على قمته ، لا يهادن ولا يجادل ولا يحاور ولا يلين ··

من هذا المنطلق دخل ثروت اباظة دنيا السياسة ، وان كانت جذوره وأصوله قد لعبت ولاتزال تلعب دورا هاما مؤثرا وفعالا من مقاعد الوزارات المختلفة والمجالس النيابية المتعددة والمنابر الشرعية المتنوعة ، فوالده كان وزيرا للمواصلات وابن عمه وزير الكهرباء ، أما هو فوكيل مجلس الشورى وعضو المجلس الأعلى للصحافة ··

ثم ، هل قاربت أو اقتربت من الانصاف ، انصاف الرجل بغير تملق أو رياء ، بعيدا عن الافتعال والانفعال ؟

بأسلوب شيق رشيق ، عذب رقيق ، ساحر دقيق ·· وبلغة سلسة جميلة ، سهلة بليغة ، عالية رفيعة ·· بعبارات أخاذة وكلمات براقة ومعانى نافذة ·· صاغ « أنيس منصور » كتابه الضخم العميق « فى صالون العقاد ، كانت لنا أيام » ·

والكتاب (٧٠٠ صفحة من القطع الكبير و ١٥٥ صـــورة فوتوغرافية وزيتية) ليس دراسة ولا قصة ولا رحلة ولا مسرحية ، وانما هو سيرة حياة جيل بأكمله ، عاش فيه وعايشـــــه أنيس منصـــور ··

ولأنه فيلسوف وأديب وكاتب ، اتخذت كل كتاباته هذا الطابع المميز والمتميز ·· فالقصة عنده فلسفة ، والفلسفة عنده رواية ، والرواية عنده أدب ، والأدب عنده مقالة والمقالة عنده فكرة ، والفكرة عنده رحلة ، والرحلة عنده دراسة ، والدراســـة عنده ســـياسة والسياسة عنده رأى والرأى عنده موقف وسيرة وحياة ··

وهكذا أصـــبح انيس منصور موسوعى الكتابة لأنه دائما موسوعى القراءة ، يتمتع بذاكرة الكترونية ســـمعية وبصـــرية ، ويستمتع بذكاء فكرى واجتماعى على المســتويين الجاد والترفيهى ثم هو يمتع مستمعيه ومشاهديه باحاديثه الفياضة الطريفة كما يشبع قرائه من خلال الصحف والمجلات والكتب بكتاباته الدسمة والخفيفة معـــا ··

و «صالون العقاد» هو الكتاب الواحد والخمسين فى حياة أنيس منصور ·· وقد عرف أكثر ما عرف من خلال كتب الرحلات (٨ كتب)

أبرزها : حول العالم فى ٢٠٠ يوم (١٣ طبعة) وبلاد الله خلق الله وغريب فى بلاد غريبة ٠٠ كما عرف من خلال دراساته التى سبق نشرها بالصحف والمجلات (٢٥ كتابا) أبرزها : وحدى مع الآخرين وعذاب كل يوم ويسقط الحائط الرابع وكرسى على الشمال وقالوا (٦ طبعات) ووداعا أيها الملل والذين هبطوا من السماء (٦ طبعات) ومن أول نظرة ٠٠ ثم عـرف من خـلال مسـرحياته (٥ كتب) أبرزها : الاحياء المجاورة وحلمك ياشيخ علام ومين قتل مين وجمعية كل واشكر ٠٠ ومن خلال ترجماته (١٠ كتب) أبرزها : الامبراطور جونز وبعد السقوط وهى وعشاقها ٠٠ ومن خلال قصصه (٣ كتب) أبرزها : بقايا كل شىء وعزيزى فلان ٠٠

أما ما لم يعرف به أنيس منصور بعد فهو الشعر ، وديوانه الأول فى الطريق الى الصدور ٠٠

هذا الجانب الشعرى الذى ظل مختفيا حتى قارب أنيس منصور عامه الستين واقترب منه ، لعله هو الجانب الأكثر تعبيرا عنه ٠٠ ذلك المجهول ٠٠ فبرغم الفلسفة الجافة وان استطاع أن يتخلص ويخلصها من جفافها ، وبرغم رئاسته المجهدة وان تمكن من الهروب منها وبها الى القراءة مع الساعات الأولى من نهار كل يوم ، وبرغم مسئولياته الجسيمة وان اراحه الله منها على غير رضى منه ، ظل الشعر عنده ومن عنده هو الملاذ وهو الخلاص ، راحة كل يوم من عذاب طول اليوم ٠٠

ولم يكن « صالون العقاد » هنا ، الا مناسبة للحديث عن أكثر رواده وخلصائه حبا ووفاء ، أنيس منصور ٠

رحلت مبكرا وكنا نظن أننا الراحلون قبلك .. فقد كنت المثل وكنت الأمل ، كنت الملاذ وكنت الخلاص ، كنت المرفأ وكنت الربان ، كنت الفارس القديم وكنت الفارس الجديد .. ولكنك تخليت عنا فجأة ، كما تخليت فجأة عن نجمك الآخذ فى الارتفاع ومجدك الضارب فى الأعماق ، فى وقت نحن فيه والشعر ، فى مسيس الحاجة اليك : نصيرا وناصرا ، وجسرا صلبا وممهدا للصلة والتواصل بيننا ، نحن المثقفين من جيلك والاجيال التالية ، بكل ما فينا من حساسية مفرطة تعترينا الى حد المرض ، وبكل ما بداخلنا من قلق وتوتر . فكنت الحصن الحصين والحارس الأمين ، الأب ، والأخ والصديق والزميل ، تهدىء من روعنا بهدوئك ، وتطيب خواطرنا بسماحتك ، وتتلقفنا ببشاشتك ، تلبى طلباتنا ومتطلباتنا بغير كلل أو ملل .

لماذا اذن ضاق صدرك وذبح ، واحتقن دمك واحترق ، وجرح كبرياؤك وطعن ، والتاع فؤادك واعتصر ، وتوقف نبضك وسكت ونزف قلبك وصمت ، أمام بجاحة الموتورين المنهزمين الفاشلين الهاربين .. أنت الصلب الصلد ، الصامد الصامت ، القانع المقنع ، النجم اللامع ، الحقيقة والحق ؟

هل نطلب لهم – ونحن نودعك الى الخلد بقلوب ممزقة مؤمنة – الرحمة والعفو ، لعلهم يندمون ، فى وقت لا ينفع فيه الندم ؟!

❋

وتهدأ الانفعالة ولكنها لا تخبو ، فصلاح عبد الصبور باق كانسان وكذكرى وصلاح عبد الصبور باق كشاعر وككاتب مسرحى ، وصلاح عبد الصبور باق كمسئول لعب دورا بارزا وملموسا فى حياة المثقفين وعلاقتهم بالأجهزة الرسمية ، سواء فى المجلس الأعلى للثقافة أو فى الهيئة العامة للكتاب ٠٠

صحيح ان صلاح عبد الصبور ، رحل وهو فى قمة الخصوبة والعطاء ، فكان يمكنه أن يقدم للشعر وللمسرح الكثير والكثير جدا. ولكن الصحيح أيضا أن ما قدمه من شعر ومن مسرح يكفى أكثر من شاعر وأكثر من كاتب لكى يسجلوا فى تاريخ الشعر والمسرح ، علامات مضيئة لمذاهب جديدة ومدارس حديثة ٠٠ فمنذ الديوان الأول « الناس فى بلادى » مرورا بديوانى « أقول لكم » و « احلام الفارس القديم » وانتهاء بديوانى « الابحار فى الذاكرة » و « شجر الليل » وهو يقود حركة الشعر الحر الجديد ، قيادة واعية ، لا تنفرد بالغرور والانانية والخوف من المنافسة ، بل تجمع حولها الطاقات الابداعية المواكبة والبراعم الشابة الطالعة ، فى تجمع شعرى يبنى ولا يهدم ، يعمق ولا يسطح ، يقوى ولا يفتت ٠٠ ولأنه أحب الجميع ، أحبه الجميع ، ولأنه أخلص للشعر ، وضعه الشعر على قمة القائمة، وكان جديرا حقا بامارته ، رغما عن أصـــوات الحقد والكراهية والتعصب والتحزب والتمذهب ، الغاشمة ٠٠

فمنذ المسرحية الأولى « مأساة الحلاج » مرورا بمسرحيتى « بعد أن يموت الملك » أو « ليلى والمجنون » وانتهاء بمسرحيتى « الأميرة تنتظر » و « مسافر ليل » وهو يمد المسرح العربى الحديث بتيار جارف ونبض دافق وفكر متقد ، مشكلا اضافة أدبية وفنية سواء للمسرح الدرامى الخالص أو للمسرح الدرامى الشعرى ، من حيث المضامين ومن حيث الشكل ، فكما جاء بأفكار وموضوعات وشـــخصيات جديدة ، جاء محررا للشـــعر من عاموده وقوافيه

وأغراضه ليصبح ملائما للحوار والحركة ، سواء جاء الحوار على هيئة مونولوج أو ديالوج ، وسواء جاءت الحركة فردية أو ثنائية أو جماعية ، فى موقع واحد أو أكثر وفى زمن محدد أو متعدد ٠٠

فاذا تناولنا مسرحياته الطويلة أو مسرحياته القصيرة ، وجدنا انها تتفق جميعا فى ملامح أساسية أبرزها « الرمزية » التى تمتد الى « التعبيرية » وقد تصل الى « السيريالية » دون أن يعنى ذلك أنها تحلق بالضرورة فى عوالم الخيال مبتعدة عن أرض الواقع وأحداث الواقع ٠٠ فالحلاج قطعة من التاريخ الصوفى وليلى ومجنونها شريحة من الأدب العربى ، اذا سلمنا بأن الملك والأميرة والمسافر شخصيات خيالية تسبح فى عالم الرمز ٠٠ علما بأن الحدث الرئيسى فى كل مسرحية والذى تدور فى فلكه الأحداث الفرعية ، انما ينصب على الواقع المعاصر المعايش ليعبر عنه ويلقى الضوء عليه ويكشف جوانب منه بطريقة التلميح والاسقاط والاستهداف ، تارة بالاستشراف وتارة بالتحذير وتارة بالتوقع وتارة بالتقرير وتارة بالتنديد وتارة بالرفض وتارة بالاستنكار ٠٠ وهكذا ٠٠

ومن هنا يمكن القول بأن « مسرح صلاح عبد الصبور » انما هو مسرح فكرى فى المقام الأول ، اجتماعى بالدرجة الأولى ، وسياسى فى هدفه النهائى ٠٠ وأبرز دليل على ذلك مسرحيته « ليلى والمجنون » التى كانت تعبر عن النكسة وتتنبأ بالمستقبل تحذيرا وتقريرا ٠٠ وليس أدل على ذلك من تقديم كل مسرحياته على خشبة المسرح المصرى ، بعد صدورها فى طبعات متميزة ، وتقديم معظم هذه المسرحيات على خشبات المسارح العربية المختلفة وصدورها أيضا فى طبعات جديدة ، ثم ترجمة أغلب هذه المسرحيات الى عدد من اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والانجليزية واليوغوسلافية والروسية والايطالية وتقديم عدد منها على مسارح باريس ولندن وموسكو وبلجراد وروما ونيودلهى وامستردام ووارسو ٠٠ ولاشك أن رحيل الشاعر الكاتب

الفنان « صلاح عبد الصبور » فجأة ومبكراً .. وهو في عز العطاء وقمة المنح وذروة الانفعال - سيزيد من الاهتمام باعادة طبع أعماله وترجمتها وتقديمها على خشبة المسرح ، ليس المصرى فقط ، وليس العربى فحسب ، ولكن العالمى أيضا وكذلك ..

تحية لروحه الطاهرة وذكراه العطرة ، اعترافا بالفضل والتفوق والمقدرة والجميل ..

بعد أن هدأت الحركة الثقافية والفنية فى أعقاب حقبة زمنية شهدتها بيروت حافلة وخصبة وسخية فى الأدب والشعر والمسرح ، بدأت حالات الاسترخاء تسود « شارع الحمراء » بمقاهيه الحديثة وقد امتلأت بالأدباء والشعراء والفنانين فضلا عن رجال الاعلام من مذيعين وصحفيين ٠ وفى ركن داخــل أحـد المقاهــى الشـهيرة **التقيت بصاحبة « أنا أحيا » و « الالهة المسوخة » و** « سفينة حنان الى القمر » الكاتبة اللبنانية الطموحة والمتحررة « ليلى بعلبكى » التى درست الآداب الشرقية بالجامعة اليسوعية ببيروت وحصلت على دبلوم فيها من السوربون تحت اشراف المستشرق الكبير « جاك **بيرك » ٠٠**

اما المجموعة الثالثة فقد صحبتها أحداث غيرت مجرى حياة الكاتبة كما غيرت أدبها لونا ومذاقا وأســلوبا ٠٠ فما أن ظهرت « سفينة حنان الى القمر » حتى صادرها المدعى العام اللبنانى بدعوى الاساءة الى الاخلاق العامة لما فيها من اباحية خاصة بعلاقة الرجل **والمرأة وبالحب ٠٠ وحوكمت « الفتاة » ولكنها برئت فى الوقت الذى افرج فيه عن الكتاب المصادر ٠٠**

هذه الاحداث وقعت عام ١٩٦٤ عام الحزن والسأم بالنسبة للكاتبة ، وهو أيضا عام زواجها ٠٠ وشارك الثلاثة ، الحزن والسأم والزواج فى اعاقتها عن الكتابة وابعادها طوال السنوات الثمانى **التالية عن الحياة الثقافية بعد أن عملت فترة قصـــيرة بمجـلة « الاسبوع العربى » اللبنانية ٠٠**

أقول « ليلى بعلبكى » عن « الزواج » انه شر لابد منه لانجاب الأطفال فهى تحب الأطفال ، رغم ان الأمومة تجربة قاسية وعائق قوى فى وجه الابداع ، ولأن الفتاة الشرقية لا يمكن أن تكون اما بدون زواج فانها تدفع ثمن الأمومة بالزواج أو تدفع ثمن عدم الزواج ، الا أن الزواج الحر أو غير الرسمى ليس حلا على الاطلاق ٠٠ والمرأة فى كل هذا هى ضحية الطبيعة ، وخاصة اذا كانت مبدعة ٠٠ فأشهر الحمل والولادة والنقاهة فضلا عن ساعات العمل اليومية المخصصة للبيت والاطفال ، عوائق لا يتحملها الرجل ٠٠ وعن هذه التجربة ، تجربة الزواج ، كتبت « ليلى بعلبكى » رواية تسجيلية بعنوان « يوميات امراة ممددة على ظهرها » ٠٠ وهى أول رواية لها بعد مجموعاتها القصصية الثلاث وأول عمل تعود به الى الحياة الثقافية بعد ثمانى سنوات من الحزن والسأم والزواج ٠٠ كانت « ليلى بعلبكى » فى حاجة الى تجربة جديدة وكانت تنتظر حتى تختمر التجربة فى حياتها وعلى قلمها لتقف منها موقف الشاعر المتأمل والمتنبىء ٠ لا موقف الروائى الراوى أو الكاتب المعلق ٠٠ فكتبت قصة قصيرة نشرتها فى « ملحق النهار » بعنوان « رصاصة ٠٠ رصاصتان ٠٠ ثلاث » أثارت جدلا طويلا وتفسيرات مختلفة تركزت حول معنيين محددين أولهما القتل وثانيهما الانتحار ٠ والواقع أنها كانت تعنى « الثورة » ٠٠ كما كانت تدعو الى الانتظار حتى يستنشق الوطن العربى رحيق الحرية فيسمح للكاتب بأن ينقد وينتقد معا عن نفسه وعن الأوضاع من حوله ٠٠ غير أن « نكسة ٦٧ » التى جاءت مفاجئة وعاصفة ومروعة خيبت الآمال واصابت الجميع بصدمة ذهول وانطواء ٠٠

وعندما انتهت « ليلى بعلبكى » من كتابة روايتها « امرأة ممددة على ظهرها » عام ١٩٧١ ، لم تجد من ينشرها الا بشروط اعتادت هى أن ترفضها ، ولهذا قررت أن تنشرها على نفقتها الخاصة رغم انها تكره هذا الاسلوب بالنسبة للكاتب ، كما تكره أسلوب الاستغلال

بالنسبة للناشر ·· فمعظم الناشرين الآن يتاجرون فى النكسة ويزايدون بها كما يتاجرون فى الرفض رفض المبادرة ورفض السلام، تحت شعار ، « السياسة » **فالشعر سياسة والقصة سياسة والرواية سياسة والمسرح سياسة والفكر سياسة وكل شىء سياسة فى** سياسة ··

وانقطع الحوار ··

بيتى ·· مستشرقة فى باريس

الدكتورة « أوديت بيتى » واحدة من المستشرقات اللاتى اهتممن بالأدب العربى والمصرى بصفة خاصة ·· وهى الأستاذة المساعدة للمستشرق والمفكر الكبير « جاك بيرك » وقد تخصصت فى الدراسات اللغوية وأبرزها « علم اللغة » فطبقت نظريات هذا العلم الحديث على « أيام » طه حسين ، كما أصدرت دراسة اجتماعية ونفسـية عن مدينة « الاغواط » الجزائرية ·

والغريب والطريف معا أن الدكتورة « أوديت بيتى » مصرية الأصل والمولد ، درست بمدارس الليسيه المصرية ، ثم رحلت الى باريس لتستكمل دراستها وتستقر بها ·· ولعل هذا هو سر اهتمامها بالأدب المصرى ··

ودار بيننا هذا الحوار :

– ماهى أصول علم اللغة وكيف نتذوق هذا العلم ؟

هو علم معاصر يدرس فى اقسام عديدة مثل قسم الأصـوات وقسم النحو وقسم المعانى · وقد اثر هذا العلم على جميع العلوم الانسانية الأخرى وبصفة خاصة على النقد الأدبى · وأهم من التذوق، معرفة لماذا نتذوق ؟ هنالك فن ناتج عن اختيار الكلمات والتنسيق بينها · مثلما فعل طه حسين فى أعماله الأدبية و « الايام » بشكل بارز ومحدد ·· وهذا العلم يساعد بالتاكيد على تحليل الأدب ونقده علميا الى جانب القواعد الأدبية المعروفة والمستخدمة سلفا ··

— هل قمت بتجربة دراسة نص بالعامية من خلال أصول علم اللغة ؟

فى بداية ابحاثى عن علم اللغة العربية ، اجريت مقارنة بين اللهجة المصرية واللهجة الفرنسية فى الأصـوات ، فوجدت أن اللغة العربية لغة « حلقية » أى تتعلق بالحلق ، أما اللغة الفرنسية فهى لغة « لسانية » ان صح هذا التعبير ، لانها تتعلق باللسان مباشرة ٠ ولهذا يصعب تعليم اللغة العربية للفرنسيين وان كان العكس غير صحيح ، فمن السهل أن يتعلم العرب اللغة الفرنسية ٠٠

— هل يوجد مسـتشرقون آخرون يدرسون اللهجات المحلية العربية ؟

هنالك بعض المستشرقين وعدد من الابحاث ٠٠ وقد تذكرت الآن انى أجريت بحثا عن قبيلة جزائرية اسمها « المرازق » ٠٠

لم أسمع هذا التعبير ، رغم أهمية دور العرب الذين ينقلون الأعمال الغربية منلغاتها الأصلية كالفرنسية والانجليزية والايطالية والاسبانية والالمانية والروسية مثلا الى اللغة العربية ٠٠ وان كان هناك من يعترض على استشراق المستشرقين ، بدعوى ان الدارسين للغة العربية من غير العرب لا يمكنهم التعمق فى أصولها والوقوف على خباياها ٠٠ ولكن من ناحيتنا فنحن نعترف بأن العرب الذين درسـوا فيكتور هوجو وفولتير وغـيرهم قد تفهموهم جيدا ونقلوا أفكارهم بامانة وصاغوا أساليبهم بدقة وحساسية ٠

بل أضيف ان المستشرقين قد لعبوا دورا هاما فى نقل الأعمال العربية الى اللغات الأخرى بينما لم يقم العرب لنفسهم بمثل هذا الدور ٠٠ ولكن هل استطاع الأدب العربى ، من خلال المستشرقين ، أن يصبح عالميا ؟

الحضارة الاسلامية كان لها دور عالمى فى العصور الذهبية ، وينبغى أن يقوم الباحثون بتعريف هذا الدور أولا ، لأن الاسلام أخذ من الحضـــارات السابقة عليه ولكنه جاء بالجديد للحضـــارات اللاحقة ..

- لم يحصل أديب عربى على جائزة نوبل العالمية حتى الآن ، فبماذا نفسر ذلك ؟

جائزة نوبل العالمية ليست حكما وليست محكما .. واعتقد ان للأدب العربى والثقافة العربية ، عبقرية خاصة لم يحس بها العالم ، وعلينا ان نعرف الجميع بهذه العبقرية ..

شخصـــيات غربيـــة



مالرو .. وقلبــه النابض

« القلب النابض » هو عنوان الكتاب الذى وضعته « سوزان شانتال » فى شكل روائى عن حياة الوزير الأديب « اندريه مالرو » .. فهى تركز على قصة حب مالرو وجوزيت كلوتيس التى تشبه كثيرا قصة « روميو وجولييت » أو « انطونيو وكليوباترا » أو « تريستان وايزولدة » ..

وقد احتفظت المؤلفة بكتابها ثلاثين عاما ولم تنشره الا بعد رحيل « جوزيت » وبعد أن أصبح مالرو وحيدا حتى وهو مع زوجته « كلارا » .. والمؤلفة تتتبع حياة مالرو منذ نضاله فى أسبانيا ثم فرنسا فى موقعة الالزاس واللورين ثم محاولة اعتقاله ونقله الى المانيا بعد اشتراكه فى المقاومة الى جانب فريق المثقفين المحاربين — كما كان يطلق عليهم — ثم سجنه واصابته الى أن وضعت الحرب فى نهايتها نهاية لنضال المثقف المحارب اندريه مالرو .. وأهمية هذا المزج بين النضال وقصة الحب ، انما هو تأكيد على انسانية مالرو ، ذلك المحارب المحب ، فهو لا ينسى حبه وسط المعارك والاحداث : فى السجن ، فى الخندق ، فى المنفى وفى المستشفى ..

يقول مالرو فى كتابه الشهير « مذكرات مضادة » انى أبحث عن مجهـــــول عظيم تدفعنى اليه غـــــريزتى ٠٠ وفى هذا يلتقى بشاتوبريان ، فكلاهما شخصية غير عادية أو سوبرمان ، وكلاهما يضع قناعا كوميديا فوق وجه مأساوى يتمزق صاحبه من الوحدة فوق القمة الباردة ٠٠ هذه التراجيديا الانسانية تراها واضحة فى « الوضع الانسانى » التى يعرفها مالرو بقوله « ان تكون أكثر من انسان فى عالم انسانى هروبا من الوضع الانسانى ، فلن يكون ذلك الا بمقدرة أو بكل القدرة ٠٠ بارادة القدرة أو ارادة التألم » ومن هنا اعجاب مالرو بالاسكندر الأكبر ، لأنه التعبير المثالى عن ارادة القدرة ٠٠ ولقد باشر مالرو ارادته من خلال اشتراكه فى الحربين الاسبانية والفرنسية ٠٠ تلك الارادة التى تمتد الى الابتكار والابداع والاكتشاف ٠

وفى مواجهة كل هذه الارادة ، ارادة القدرة ، يقف القدر ٠٠ ولكم كان القدر قاسيا على مالرو ٠٠ اعدم أحد أشقائه ، ومات الثانى فى المنفى ، ولقيت جوزيت مصرعها تحت عجلات القطار ، ولقى ولداه مصرعهما معا فى حادث سيارة ٠٠ أما هو فقد مات بالفعل فى المستشفى ولكنه قاوم الموت بعد ان أعلن الاطباء النبأ ٠٠

وارادة القدرة أو قدرة الارادة لا تتمثل عند مالرو فى مواجهة القدر ومواصلة الحياة فحسب ولكنها تتبلور اكثر فى قدرته على الحب رغم كل هذه التحديات ٠٠

ولهذا يعد مالرو واحدا من عظمـــاء التاريخ وأحد النماذج المثالية النادرة لانسان القرن العشـــرين ، ليس فقط لأنه « القلب النابض » ولكن لأنه أيضا « نبض هذا العصر » ٠٠

وهكذا يجىء كتاب سوزان شانتال « القلب النابض » صورة حية لحياة مالرو وشخصيته وفكره وقدره وليس فقط سيرة عاطفية لعلاقته بمحبوبته وملهمته جوزيت كلونيس ٠

والكتاب بعد هذا كله يخرج بشكل جديد فى «أدب السير» حيث تغزل الكاتبة فصول كتابها وكأنها رواية فيها من الخيال قدر مافيها من واقع أو وقائع دون خلط أو جفاف ٠

كان يحب الفن التجريدى والرواية الجـــديدة لأنهما نتـاج عصره ، ولكنه كان يرثى لانحســـار المد الكلاســـيكى (اليونانى واللاتينى) فى دعم الثقافة الحديثة وكان يرجو أن يلعب التليفزيون دورا ثقافيا ويقول : « لا يكفى الانسان أن يكون فيلسوفا حتى يصبح عظيما ولكن الانسان العظيم لابد أن يتمتع بحدس فلسفى » ٠

ان الرئيس التاسع عشر لفرنسا ، ورئيس وزرائها لســـت سنوات فى حكومة ديجول الأخيرة ، حصل على الدكتوراه فى الآداب وكانت له اهتمامات فنية ومؤلفات أدبية أهمها (مختارات من الشعر الفرنسى) وأحدثها (الشعر والسياسة) ٠٠

وبومبيدو طراز نادر من الساسة المثقفين الذين لم تحظ فرنسا ولا العالم أجمع الا بعدد قليل منهم ٠٠ فهو سياسى يتخذ من السلطة وسيلة لتحقيق الرخاء فى الداخل والسلام فى العالم ٠ وفنان يحب الفن ويصادق الفنانين ٠ ولكنه لا يتوزع بين النزعتين أو يدعهما يتصارعان فى داخله ، فقد استطاع بمرونة بالغة ووعى عميق أن يجمعهما فى وحدة بللورية واحدة ، ، يعبر عنها أصدق تعبير كتابه الأخير « الشعر والسياسة » ٠

فى هذا الكتاب يخالف بومبيدو المفهوم الشائع بان الشعر يمثل السماء ، وان السياسة تمثل الأرض ، ويذهب الى أبعد من ذلك عندما يؤكد أن الشعر ليس فى خدمة السياسة وان كانت السياسة فى كثير من الاحيان فى خدمة الشعر ٠٠ أليســت السياســة فى خدمة الانسان ؟ » ٠٠

فاذا كان الشعر فنا يعيش بالكلمات فان السياسة فعل يعيش على الأحداث ·· والتاريخ يؤكد أن الشـــعر مرتبط ارتباطا وثيقا بالحياة السياسية بل هو الدافع دائما الى « الاصلاح » و «الثورة» ·

عندما أصدر هوجو ديوانه « أفعال وأقوال » كان يجمع بين الرؤية الشعرية والنظرة السياسية ·· وعندما قال تشرشل عبارته الشهيرة « ليس لدى ما أقدمه لانجلترا غير الدم والعمـــل والدموع والعرق » · كان يقول شعرا ·

وكان ديجول يقول شعرا عندما أطلق صيحته المدوية من لندن عام ١٩٤٠ ·· « مادام المكلفون بحمل سيف فرنسا قد تركوه يسقط مكسورا فانى أجمع اشـــلاءه وأحارب بها ·· وأنت ياكليمنصو فى قبرك السحيق ، هذا هو ١١ نوفمبر فلا تنم » ·

ويسوق بومبيدو أمثلة حية من التاريخ تؤكد صلة الشـــعر بالسياسة : راسين وكورنى وشكسبير وايلوار كانوا ينقلون السياسة الى الشعر كما نقلها اراجون ونيرودا وشعراء المقاومة فى العالم ·

اما الاسكندر فقد ترك مقدونيا متجها الى ضفاف النيل ليموت فى بابل ·· ونابليون ترك فرنسا متجها الى ضفاف النيل أيضا ليموت فى سانت هيلانة ·· وكلاهما كان يحلم بماء النيل وهواء النيـــل وشمس النيل ، لأنهما كانا ينطلقان من وحى الشعر وضمير الشعر ورؤى الشعر ··

واخيرا فسواء كان الانسان العظيم شاعرا فقط أو رجل سياسة فحسب أو كليهما معا فان هدفه الحقيقى الذى يعمل من أجله سواء بالكلمات أو بالافعال لابد أن يكون سعادة الانسان ·

ورحل لوى اراجون ، فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٢ بعد ٨٦ عاما و ٨٢ يوما من مولده بباريس فى الثالث من اكتوبر عام ١٨٩٦ ٠ قرأ وهو فى التاسعة تولستوى ودوستويفسكى وجوركى وقرأ وهو فى الحادية عشرة باريس وستندال والتقى وهو فى الثامنة عشرة ببريتون وسوبو وبيكاسو ، فاندلعت مع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) الدادية والتكعيبية واشـــترك اراجون مبكرا فى المقاومة الأولى ٠

« بلغت العشرين وانا فى الثكنات صبى نحيف يرتدى الملابس الزرقاء يحلم كثيرا ‥ ويأكل قليلا » ‥

أصدر اراجون المجلة الأدبية التى اســـتوعبت كل التيارات الفكرية والشـــعرية والفنية الى أن أعلنت فى عام ١٩٢١ انعقـــاد « المؤتمر الدولى للدفاع عن الروح الحديثة » وأعلنت فى العام التالى مولد السيريالية والتى دفعت الشاعر لوتريبيامون الى قوله « الشعر لن يكتبه بعد الآن شاعر واحد ولكن الجميع سيقولونه » ‥ وكما تميزت السنوات ١٩٢٤ ـ ١٩٢٩ بالثورة الســـيريالية اصـــبحت السيريالية فى خدمة الثورة خلال السنوات ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣ ٠

وكان اراجون قد التقى بالسا فى السادس من نوفمبر ١٩٢٨ واشترك معها فى مؤتمر الكتاب الثوريين المناهضين للفاشية من خلال دراسة لماياكوفسكى والفلاسفة المحدثين ٠

وفى عام ١٩٣٥ اشترك مع مالرو فى التجمع الدولى للكتاب

دفاعا عن الثقافة ٠٠ واضطر للجوء لسفارة شيلى ، وبعدها بدأ مع مجموعة كبيرة من الكتاب والفنانين الاعداد لسبل المقاومة ، وبحكم دراسته الطبية تعهد بالخدمات الصحية والاسعافات الأولية ، ولكنه لم يكف عن الكتابة باسم مستعار ٠٠ وحرم من حقوقه المدنية لفترة عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٤٨ عقابا على مقالاته ٠

وبعد رياسته لمجلة الآداب الفرنسية ، دخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى وحصل على جائزة لينين للسلام ٠٠ فلم تكن الثورة تتمثل عنده فى هؤلاء الذين يثورون من أجل الجوع فحسب ولكن فى هؤلاء الذين يثورون أيضا من أجل الحرية ٠٠ فهو يقول : كم تساوى الحياة ــ الحرة الكريمة ــ لكى نشقى من أجلها ٠٠ كما كان يقول : لم أكن أبدا الانسان الذى أنا هو ٠٠

هذه الأقوال وغيرها عن حياته وكفاحه وحبه تركزت فى ديوانيه « العيون والذاكرة » ١٩٥٤ و « الرواية التى لم تتم » ١٩٥٩ ، فهما بمثابة الترجمة الذاتية ٠٠ أما دواوينه الأخرى فقد تعدت الثلاثين ديوانا أولها ظهر عام ١٩١٩ بعنوان « نار السعادة » وآخرهـــا ظهر عام ١٩٦٦ بعنوان « رثاء الى بابلو نيرودا » ٠٠ اما أهم هذه الدواوين جميعا فهى « عيون السا » و « مجنون السا » و « فى بلد غريب فى بلدى ذاتها » و « احييك يابلدى فرنسا » و « لن يجىء عام الفين » ٠٠ وأما رواياته ودراساته فقد وصلت هى الأخرى الى أكثر من ثلاثين كتابا أهمها : « فلاح من باريس » و «الاحياء الجميلة » و « من أجل واقعية اشتراكية » و « هوجو شاعر واقعى » و «الكذب الصادق » ٠

ورغم كل هذا الانتاج الوفير والخصب معا نراه يقول : « شىء غريب فى نهاية الأمر ان العالم سأرحل عنه يوما دون أن أقول كل شىء » وهو الذى قال أيضا :

« الحياة بالنسبة لى مسرح نجىء اليه من بعيد ، بعيد » ٠

وان كان يعلم تماما ان « الفن ليس هو نهاية هذه الحياة ، وان الشعر ليس هدفا فى حد ذاته ، فهما معا التعبير المباشر المحكوم بالأفئدة عن الوقائع المعاشة ، ومن هنا عرف مايسمى بالشعر الثورى والشعر الوطنى ٠٠

ولقد استخدم « اراجون » اللغة الفلسفية والحوار الداخلى والوصف الدقيق للاشخاص والأشياء والمشـــاعر ، حتى قبل أن يستخدمها « الان روب ـ جرييه » وكتاب « الرواية الجديدة » فى فرنسا فكان بمثابة المبشر والمنظر ٠٠ ولكنه عرف أيضا لغة الجماهير الخطابية أو اللغة الدارجة التى تقترب من البيانات والاحصائيات حتى فى اشعاره ٠

وهكذا عاش « اراجون » ومارس كل التناقضات والمتناقضات سواء فى الحياة الاجتماعية أو الوجود الفكرى ، فالدادية والسيريالية تتناقضان تماما مع الواقعية ، وكذلك تتناقض الفردية والمثالية مع الاشتراكية فضلا عن المادية الجدلية ٠

وتوقف « اراجون » عند تعبيرات كثيرة مثـــل « بروليتاريا الروح » و « حرية الروح » و « البروليتاريا العالمية » و « رأسمالية الفكر » و « البورجوازية الثورية » و « التحرر والانحلال » و «التقيد والالتزام » و « الوجودية والعبث » ، ولكنه ادرك أن الحرب هى التى فجرت كل هذه المتناقضات وأكدت كل ذلك التناقض ، وكان عليه أن يصل وأن يدعو للعمل ـ كما نادى ماركس من ناحية وروسو من ناحية أخرى ـ على تغيير الحياة وقتما يتغير العالم ٠٠ أما الأسلوب فهو ليس على طريقة الفرديين الذين يتجاهلون العالم أو يخضعونه لقوانينهم ، ولكن على هيئة وجود جماعى يربط العالم بالانسان والانسان بالعالم ٠

وفى هذا يقول روجية جارودى « لقد كان دخول اراجون الحزب التزامـــــا بصـــراع ضـد صــراع لم يكف عن اظهــار آلامــه **المتوالية »** ٠

ولعل هذا ما دعا «أراجون» الى التفكير فى « الانتحار » **مثلما فعل** كامو ــ كحل للوجود ، ولكنه لم يقره ولم يأخذ به ولم يقدم عليه ٠ فقد كان يبحث فى المجهول عن المطلق ، وكان يشقى فى سبيل **سعادة الانسان فى عالم متقدم ومتطور ومتحضر** ، حتى رحل الى المجهول وان لم يكن بشكل مطلق ٠

باربوس ·· بين الجحيم والثار

ولد « هنرى باربوس » فى مدينة آزونبير الفرنسية عام ١٨٧٣، فى السابع عشر من مايو على وجه التحديد ، لابوين ميسـورين ، فوالده كان كاتبا مسرحيا مرموقا ، وكانت والدته سليلة أسـرة عريقة ·· اضطر أبوه الى رعايته الكاملة رغم مشاغله ، بعد موت أمه ولم يتجاوز الصغير سنوات عمره الست ، فأخذ يوسع مداركه الأدبية الى جانب دروسه التى يتلقاها من مدرسـته الابتدائية ثم الثانوية ، الى أن انتقل الى مدرسة المعلمين العليا بباريس ثم كلية رولان حتى انتظم فى جامعة السوربون متخصصا فى دراسة القانون·

وكان « باربوس » مولعا بالأدب منذ الصغر ، موهوبا فى مجال الشعر والكتابة ، ولكنه كان يتميز دائما بالفكر والتفكـير بحيث تفجرت ملكاته وقدراته فى قاعات الجامعة وأبهائها وردهاتها ، الأمر الذى لفت اليه أنظار أساتذته وجمع حوله زمـلاءه من الثوريين المتحمسين للعدل الاجتماعى انطلاقا من مفهوم المسـاواة والاخاء والحرية ، وهى المبادىء التى أصبحت دستورا للثورة الفرنسـية والمجتمع الفرنسى بعد ذلك وحتى الآن ·

ومزج « باربوس » وهو لايزال طالبا فى السـوربون – يفوز بالجوائز الأدبية وبأعلى التقديرات الدراسية – بين الكتابة والفكر ، بين ما كتبه ، وبطريقـة « واقعية » رغـم انتشار المذاهب الأدبية المختلفة وأبرزها « الرمـزية » بزعـامة فرلين ورامبو ومالارميه « والكلاسيكية » التى كانت تمتد بجذورها المحافظة وقيمها الجامدة وقوانينها الصارمة ، فقد وجد ان كلا المذهبين يعيش فى الخيـال

والأوهام مبتعدا عن آلام الناس وآمالهم منفصلا عن أرض الوطن والعالم الذى نعيش فيه ٠

واصدر « باربوس » أول عمل أدبى له عام ١٨٩٥ ، وهو ديوان « النائحات » الذى كان سببا فى تعرفه بالكاتب الواقعى « كاتيل مانديس » وابنته التى صـــارت زوجة له ، واســـتطاعت بثقافتها وشاعريتها ان تساعده كثيرا وان تسعده أكثر ٠٠

أما الديوان الأول فقد أحدث ضجة فى الأوساط الأدبية ، وظن الجميع أنه يعنى ميلاد شـــاعر ينبىء بمســـتقبل باهر ٠٠ ولكن « باربوس » هجر الشعر بسرعة لما أحس فيه من تعال على رجـــل الشارع من ناحية والواقع الثورى من ناحية أخرى ٠٠ فأتجه الى الرواية لأنها تمثل فى رأيه مرآة المجتمع ، قاعه قبل سطحه ، ولأنها ضمير الشعب بكل فئاته وعلى اختلاف طبقاته ٠٠ فاصدر عام ١٩٠٣ رواية « المتضرعون » وفيها يحاول ان يمسك بالوسط الذهبى ، ذاته وذكرياته من ناحية ، ومعاناة الجماهير وتمنياتهم من ناحية أخرى ، بالنضال والكفاح » ٠

وفى هذا العام نفسه ١٩٠٣ أصدر « باربوس » أهم رواياته على الاطلاق « الجحيم » وفيها تتأكد موهبته ويكتمل نضجه وتتضـــح رؤيته ويتميز أسلوبه وتتبلور لغته ويتحدد هدفه وبرغم ان الرواية تكاد تندرج تحت شكل المذكرات أو الترجمة الذاتية ، الا أن البطل يتحول الى نموذج للكل ٠٠ بطل لا نعرف اسمه ، فلا ضرورة لذلك ، فهو يقول « ليست لى عبقرية ، ليست لى رسالة ، ليس لى قلب كبير ، لا شىء عندى لا أساوى شيئا ، ورغم كل هذا فانى أريد تعويضا من هذه الحياة » ٠٠ ان عبقريته ليست الا بالآخرين ورسالته هى رسالة الآخرين وبهم ، فاذا كان قلبه يخفق فى الآخرين ، فلا شىء يفضل الناس عنده ، وهذا هو التعويض الذى ينادى به ويطلبه من الحياة ، ان يكون دائما بين الآخرين ومنهم ، وعندما يقرر أن ينتحر

كفرد ليديا فى المجموع ، لا يشعر بأية خسارة ، بل على العكس تنتابه سعادة لاتعدلها سعادة لأنه تحول الى انسان آخر ، انسان غيره ، انسان رمز وليس انسانا فردا ·· وهو يفرض على ذاته هذا الاحساس بالجماعية رافضا فرديته ، مخفيا حقيقته ، مندمجا فى الكل ·· وبدلا من أن يكون « الكل فى واحد » أصبح « الواحد فى الكل » ··

وقبل أن يصدر روايته الرائعة الأخرى بعنوان « النار » عام ١٩١٦ ، نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « نحن الآخرون » عبارة عن ثلاث مجموعات هى « الشهرة » و « الرحمة » و «جنون الحب » ·· وتتشابه المجموعة الأولى مع المجموعة الأخيرة فى سمة مشتركة هى الشاعرية المثالية الرومانسية على طريقة « جى دى موباسان » بينما تنفرد المجموعة الثانية والوسطى بالواقعية الشديدة التى تجنح نحو طريقة « اميل زولا » الطبيعية ··

اما رواية « النار » فتدور أحداثها وحوادثها حول الحـــرب العالمية الأولى متخذة شكل المذكرات التى سجلها الكاتب بنفســـه اثناء المعارك والخنادق والاقتحام والمقاومة ·· وقد نال « باربوس » عن هذه الرواية « جائزة الجونكور الكبرى » فى العام التالـــى لنشــــرها ·

واختتم « باربوس » هذه المرحلة الثورية فى اطار الحــــرب برواية « الضياء » التى ظهرت عام ١٩١٩ تعبيرا عن فكر المثقفين ورأيهم فى الحروب بشكل عام ·

وقد تنوع انتاجه بعد هذه المرحلة ، فبدأ بديوان شعر – بعد انقطاع طويل – اسماه « بعض زوايا القلب » ثم كتب رواية بعنوان « النور فى الهاوية » ثم «أحاديث محارب» ثم رواية « الجلادون » فكتاب « الاغلال » الذى ظهرت فيه اراؤه السياسية لاول مرة ، وهو كتاب ضخم يؤرخ لصراع الطبقات عبر التاريخ فى معظم انحاء

العالم ، ويتسع هذا الكتاب المثير لدراسة انسانية اسماها «الحقائق» ثم لبيانه الشهير « الى المثقفين » ٠٠

وفى عام ١٩٣٢ أصدر ما عكف عليه منذ سنوات ، كتابين عن « زولا » و « جوته » ٠

وفيما عدا التأليف الخالص عمل « باربوس » بالصحافة منذ مطلع عام ١٩٠٨ ، وبعد سنتين فقط تولى رئاسة تحرير مجلة «أعرف كل شيء » ٠٠ بعدها رشح لعضوية مجلس تحرير جريدة «لومانيتيه» ولكنه أصدر عام ١٩٢٠ مجلة شهرية ، هى التى تحولت فيما بعد الى الجريدة المسائية المعروفة « لوموند » ٠

وفيما عدا التأليف الخالص والصحافة الأدبية كان « باربوس » خطيبا ، يخطب فى الناس ، لا فرق عنده بين اجتماعات عامة وتجمعات ميدانية ، وفى كل الأحوال كان يدعو الى نبذ الحروب ونزع السلاح ومعاداة الاستعمار ، مؤمنا بما اسماه « الدولة العالمية » منشئا تجمعا ضم كل الكتاب الأحرار المناهضين لعبودية الانسان الداعين لانتصار الشعوب وهو ما سمى باتحاد العقليين ٠٠

ولم يكتف بذلك ، فرأس جمعية أخرى لمكافحة النازية والفاشية عام ١٩٣٣ ٠٠ واشترك فى جمعية استقلال سورية ولبنان ونادى بتحرير باقى الدول العربية والهند وعدد من الدول الافريقية ، حتى انتهى به المطاف الى عقد « المؤتمر الثقافى العالمى » بباريس عام ١٩٣٥ ٠

ولا غرابة فى اتخاذ « باربوس » لكل هذه المواقف ، فقد جند فور اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وحارب بشجاعة فائقة ونصب عينيه السلام ، فمنح وسام « صليب الحرب » بعد أن جرح أكثر من مرة جراحا غائرة وخطيرة وخاصـــة خـــلال معارك « ارتوا »

و « بيكاردى » عام ١٩١٦ ٠٠ وأعفى من الجندية فى العام التالى ، ولكن أهوال الحرب وويلاتها تركت فى نفسه آثارا بليغة ، أبلغ بكثير من جراحه ٠٠ حتى أنه أطلق على قرننا العشرين لقب « عصـــر الدماء » بعد أن سجل شهادته فى مجموعة قصص قصيرة أسماها « شهدته بنفسى » ورواية أسماها « المؤخرة » تعد من بواكير الرواية العلمية » اذ تخيل عالمنا وقد غمره الغاز الذى يجمد كل شىء بما فى ذلك الانسان نفسه ، بحيث لا يقدر على الحركة ولا على دفع الموت الخاطف دون أن يفرق بين حاكم ومحكوم أو بين ثرى وفقير ٠٠ وكان « باربوس » المعروف بعدائه للقوى المتسلطة يستدعى فى داخله « شمشون » وصيحته المدوية الشهيرة « على وعلى أعدائى » ٠

وتوفى « هنرى باربوس » بعد معاناة فى مستشفى « الكرملين » فى السابع والعشرين من أغســـطس عام ١٩٣٥ ، عن عامين فوق الستين ، وقد فقد فيه الأدب أديبا متميزا ، وفقد فيه الفكر مفكرا بارزا ، وفقد فيه الانسان العالمى زعيما من أكثر الزعماء دفاعا عن حريته وخلاصه ٠٠

ســاروت ٠٠ فى القاهرة

جاءت الى القاهرة الكاتبة الفرنسية « ناتالى ساروت » كبيرة كتاب « الرواية الجديدة » فى فرنسا ، بدعوة من «الجامعة الامريكية» لالقاء سلسلة من المحاضرات عن « الرواية » ٠٠ وفى ختام زيارتها الاكاديمية والسياحية دعاها الأستاذ يوسف الســباعى باســم « الاهرام » الى « غداء ثقافى » أشرف عليه الدكتور لويس عوض الذى دعا عددا مختارا من أهل الفكر والفن لمصاحبتها واتيح لى ان اقدم لها الترجمة العربية لأول كتبها « انفعالات » فمن هى ناتالى ساروت ؟

ولدت ناتالى فى الثامن عشــر من يوليو عام ١٩٠٢ ونالت ليسانس الآداب والحقوق من السوربون وعملت بالمحاماة حتى عام ١٩٣٨ وكانت قد تزوجت من المحامى الفرنسى ريمون ساروت عام ١٩٢٥ وانجبت ثلاث فتيات ٠٠ وما أن وضعت كتابها الأول « انفعالات » حتى هجرت المحاماة فى نفس العام ١٩٢٩ ٠٠ وكتبت ساروت بعد ذلك خمس روايات : « صورة مجهول » ١٩٤٨ ، قدمها سارتر ، و « مارتيرو » ١٩٥٣ و « الكوكب السيار » ١٩٥٩ ، و « الفاكهة الذهبية » ١٩٦٣ ، نالت عنها جائزة الأدب العالمية الرابعة ، و «بين الحياة والموت » ١٩٦٨ ٠٠ كما أصدرت كتابا نقديا بعنوان « عصر الشك » ١٩٥٦ ـ قمت بترجمته الى العربية أيضا ـ وكتبت تمثيليات اذاعية أهمها « الصمت » و « الكذب » ومسرحيات من ذات الفصل الواحد أهمها « أسما » و « هل تسمعونهم » ٠

وماذا عن الرواية الجديدة ؟

بدأت الرواية الجديدة طريقها بظهور « انفعالات » ساروت ثم ظهرت « صورة مجهول » لنفس الكاتبة ٠٠ وبعد ذلك زحف الركب وتقدم الموكب بحسب الترتيب التاريخى كل من « كلود سيمون » و « مارجريت دوراس » و « صمويل بيكيت » و « روبير بانجيه » و « آلان روب ـ جرييه » و « ميشيل بيتور » و « كلود مورياك » و « فيليب سوللير » ٠٠ وقد أعلن كل هؤلاء ثورتهم على الرواية التقليدية بدءا بالزمن ثم بالغـاء الفعـل والفاعل وكل ماهو حى والتمسك فقط باللاشعور واللا وعى وكل ما هو جماد أو شىء ٠٠ **فالرواية الجديدة تصف الشىء كما هو متجاهلة تماما الشخصية** والحبكة والمضـمون لأنها ترى أن الشـخصية البطولية نزعة بورجوازية والقصة المنطقية استقرار غير واقعى والتفرقة بين الشكل والمضمون تفرقة زائفة ٠٠

وتنقسم الرواية الجديدة الى مدرستين الأولى تسمى مدرسة « النظرة » بقيـادة روب ـ جرييه وبيتور ودوراس يتخـذون من « فلوبير » رائدا ، والثانية تسمى مدرسة « الباطنية » بقيادة ساروت ومثلها الاعلى ، وبيكيت ومثله الاعلى جويس ٠٠

ويرى البعض أن الرواية الجديدة ان هى الا تعبير حضارى عن حالة حضـارية ، تعبير لا معقول ولا منطقى عن حالة الغربة والضياع واللاجدوى التى عاشها انسـان ما بعد الحرب العالمية الثانية فرواية الخمسينات قد عبرت عن أزمة انسانها فى اطار تقليدى وهاهى الرواية الجديدة تجىء لتوائم بين الشكل والمضمون حتى تكون أكثر اتساقا ٠٠ فان بدت غير متسقة فتلك هى غايتها ، التعبير عن عدم اتساق الكون بما فى ذلك الانسان عن طريق تحطيم العلاقات المنطقية بين الاشياء ، واعدام شخصية الانسان والغاء وجود الزمن وتفكيك سلسلة الاحداث وتفتيت روابط اللغة ٠ ثم احلال الاشـارة والحركة والصمت بدلا من الكلمات أو وضع هذه الكلمات بطريقة

متناثرة ضائعة لتعبر أصدق تعبير عن الانسان الذى تعنيه ، الانسان ذلك الغريب الضائع ٠٠

ومفتاح الرواية الجديدة كما يقول « روب – جرييه » هو الشخصية التى ليس لها ماض ولا قدر ولا أعماق ٠٠ ولكنها شىء فى سبيل الاكتشاف لا يتكون الا فى رأس القارىء بوصفه الشخصية الوحيدة الحية فى الكتاب ٠٠ فكيف يمكن للقارىء ان يقتحم عالم الرواية الجديدة بدون هذا المفتاح وخاصة اذا كانت سلسلة الأفكار القديمة لاتزال تسيطر عليه ، مثل الموضوع الذى له بداية ووسط ونهاية ، والعقدة التى تتكون وتنفرج بعد ان تكون قد وصلت الى الذروة ، والشخصيات الواضحة المعالم التى تكاد تكون انماطا ٠٠ ان لغة الرواية الجديدة فى الواقع هى « لغة الصمت » فكيف يمكن أن يقرأها من لم يتعلم حروفها بعد ؟

سارتر مثلا أطلق عليها مصطلح « ضد الرواية » وعرفها بانها تقدم روايات خيالية شخصياتها وهمية ٠٠

ولكن تعريف سارتر لا يعنى أن الرواية الجديدة قد نبذت القيم والمبادىء والأخلاق ٠٠ والدليل تخطى ساروت تحليل المشاعر الى وصف الانفعالات ذلك أنها تغوص فى الواقع الداخلى لتستخرج رواسب الماضى والحاضر والمستقبل من أحشاء اللاشعور فتستخدم العبارة المتصلة ولكنها تنثر الكلمات القصيرة احيانا والمتقطعة أحيانا أخرى تعبيرا تلقائيا عن انطباعات حية ودقيقة معا ٠٠ وتتمتع ساروت بحاسة النفاذ الى خلايا الانسان الحية ولهذا تظل كتبها « صعبة » و « شيقة » فى الوقت نفسه على الرغم من تطويرها سيكولوجية دوستويفسكى الى ما يمكن تسميته بما وراء التحليل النفسى ٠

تقول ناتالى ساروت « الرواية فن يستهدف أحداثا تؤدى الى تغيير فى شعور القارىء ٠٠ هذا التغيير يتمثل فى تلقى كل ماهو

جديد وحى بصرف النظر عن الاهتمام بالمغزى أو بالحكمة أو بأى شيء آخر ·· ان ما يميز الرواية الجديدة ، ليس طموح التقليديين ومقدرتهم على الخيال ، ولكنه الرفض الذى نواجه به الواقع » ··

والواقع ان الرواية الجديدة تعد نهاية لحركة استمدت رؤاها من الوجودية كمذهب انسانى وفكرى ·· ولما كانت هذه الرواية الجديدة قد جاءت لتعبر عن عبث الوجود بعد ما أصيب بانتكاسته الكبرى التى تمثلت فى الحرب العالمية الثانية فان عودة الحياة الى طبيعتها تتطلب قيام أدب « يبنى » بديلا عن هذا الأدب « المخمور » الذى اسكرته وكان لابد أن تسكره ، صدمات تلك الحرب اللاانسانية المروعة ·· فاذا خفت صوت الرواية الجديدة بعد نصف قرن من العطاء ، فهذا ايذان بأن رواية جديدة أخرى فى طريقها للميلاد ·

بدأت حياتها ممثلة على خشبة المسرح فاثرت فى جيل فنى بأكمله ٠٠ ثم اتجهت الى الأدب فكتبت خمس مسرحيات عرضـت جميعها واشتركت فى معظمها وهى « اميلى برونتى » و « النزول الى الجحيم » و « الشجيرات البيض » و « الملك » و « سيدتان وخادم »٠ كما كتبت أربع روايات نالت عنها « جائزة الاكاديمية الفرنسية » لأنها تعد علامة على طريق « الأدب النسائى » وهى « الفوضـى » و « أيام الغضب » و « الجنة الأرضية » و « الحفل المتأجج » ٠٠ وبعد أن بلغت السبعين اتجهت الى كتابة المذكرات فنشرت تجاربها بأسلوب أقرب الى الرواية مثل « تحت شمس جديدة » و « الرواية الأخرى » و « ماتبقى من القول » ٠٠ وبعدها تفرغت لمعاونة زوجها « فرنسوا بورشيه » فى عمله الصحفى كسكرتير تحرير لاحـــدى المجلات الفنية الأسبوعية فالهمته الكثير من الأفكار المبتكرة ، هـى التى الهمت من قبل مجموعة كبيرة من الأدباء مثل « هنرى باتاى » الذى اهداها مسرحيته « الابتهاج » ومثل « ستيف باسور » الذى اهداها مسرحيته « المشترية » ومثل « الان فورنييه » الذى أهداها روايته « مون الكبير » والتى عرضت على شاشة السينما ٠٠

ونتيجة لجهودها وخبرتها اختيرت عضـــوا بلجنة « جائـزة فيمينا » التى لا تضم غير النساء ولكن لم يفز بالجائزة نفسها حتى الآن غير الرجال ٠٠ كما اختيرت لتقديم برنامج أسبوعى لراديو باريس تتحدث فيه عن فن المسرح وخبرتها فى هذا المجال الحيوى الهـام ٠٠

وعندما بلغت « سيمون » عامها التاسع والتسعين ـ وكان هام المرأة العالمى ـ عكفت على اعداد كتاب ضخم بعنوان « وصيتى الجديدة » يضم كل خبرتها فى الفن والحياة ٠٠ وقد صدرت هذه الوصية فى مناسبة عيد ميلادها المئوى الذى احتفلت به الأوساط الفنية والأدبية فى فرنسا ، وامتد هذا الاحتفال الى عدد كبير من دول أوروبا ، وكان علينا أن نشارك فيه ولو بالتعريف بهذه المرأة التى استطاعت أن تســـاهم بجهد وفير فى خدمة الأدب والفن أو المجتمع الانسانى بصفة عامة وفى خدمة مجتمعها أو مجتمع المرأة بصفة خاصة لأنه المجتمع الذى تنتمى اليه ، بنظرة موضـــوعية وليست متحيزة ٠

انطونين مايبـــــه ، ولدت وتعيش فى مقاطعة « الاكــــادى » الكندية٠٠وهى المقاطعة الفرنسية التى تقع على الاطلنطى وعاصمتها اننا بوليس ـ بعد أن كانت بورويال ـ وقد انشئت عام ١٦٠٤ عن طريق الفرنسيين النازحين بقيادة « شامبلن » ٠

عملت « انطونين » بالتدريس الثانوى والجامعى ، لتعلم الناس أولا من خلال العلم ثم من خلال الأدب ٠٠ ولكى تكسب عيشها من التدريس ـ كما تقول ـ لتستطيع أن تنفق على الادب ، فالأدب فى وطنها لا يكسب عيشا ٠

وهى الروائية الاولى واول روائية ، لأن الاكاديين ليس لهم تراث مكتوب أو مدون ، فقد عرفوا الآداب والفنون شفويا بالوراثة والتوارث ٠٠ وهكذا جاءت روايتها الأولى « بيلاجى لاشاريت » تفسيرا لظاهرة التوارث هذه ، ليس فقط فى الأدب والفن ولكن فى العادات والتقاليد أيضا٠٠فالتاريخ يقولأنعام١٧١٢شهدصراعا دمويا من ناحية وصراعا آخر على موائد المفاوضات بين فرنســـا وانجلترا حول ملكية كل منهما للمنطقة ٠ اما السكان أنفسهم فقد ادركوا منذ البداية انهم اصحاب الأرض الحقيقيون وأنهم يدفعون ثمن الاحتفاظ بها ٠

تقول انطونين : « وجودنا ذاته وحياتنا والموت والميلاد ، مزيج من الأشياء الملموسة والأشياء التى تستغلق على الفهم ، وبالتالى نلوذ بالخيال أو نلجأ الى الاساطير » ٠

ورواية انطونين الأشهر ، تحمل اسم « ساجوين » ٠٠ شغالة

كل الشغالات ، تبلغ السبعين من عمرها ، أصابها المرض ولكنها تواصل العمل حتى تعيش ٠

تقول ساجوين : « المرض فى بطنى ٠٠ والبطن هى البداية وهى النهاية ٠٠ منها نولد وبسببها نموت » انها تحكى حكاية شعب. ولذلك جاءت الرواية على شكل مونولوج ٠٠ ولأن ساجوين كانت ماهرة فى تنظيف الأرضية ، فقد كانت تمشى على أربـع ولكنها كانت – مثل كل شعبها – مرفوعة الهامة ٠٠ تقول « لست كندية ولا فرنسية ولا أمريكية ، أنا أكادية ، لأن الاكادى ليس بلد ولكنه شعب ٠٠ »

وعلى الرغـــم من أن انطونين الروائية ، امرأة ، وبطلاتها « بيلاجى » و « ساجوين » و « ماريا » من النساء ، الا أنها ترفض اطلاق تعبير « الأدب النسائى « على كتاباتها ، وتقول ، ليس أدبا نسائيا ، ولكنها الحقيقة ، فالرجال اما قتلوا أو سجنوا أو هربوا ، وبقت النساء ٠٠ والرجال يذهبون للصيد ويغيبون بالاسابيع ، وتبقى النساء ٠

ومع هذا أخذ جيل جديد من الشباب الواعى الواعد يشـــق طريق الادب من خلال الرواية والقصة والشعر والمسرح ٠٠ لأن « انطونين ماييه » تعد حالة استثنائية وسط حالة استثنائية عاشها جيلها ، جيل بأكمله ٠٠ فقد ولدت فى أسرة تهوى الثقافة ٠٠ والدها باع أرضه من أجل تعليم أبنائه ٠٠ وتعلمت « انطونين » فى بلـد لا يعرف ولا يعترف بتعليم البنات ٠٠ وكانت قد قررت منذ البداية ان تصبح كاتبة ، أول كاتبة فى وطنها ، خاصة وأن الكثيرين ظلوا يحلمون بكتابة تاريخ هذا الوطن ، وعلى رأسهم أمها التى كانت تعلم وحدها أن أول كاتب سيكون من قريتها « بوكنوش » ٠ وكم كانت سعادتها عندما تحققت نبوءتها التى فاقت كل أحلامها ، فان ذلك الكاتب المنتظر قد ظهر فى حياتها وكان هو ابنتها « انطونين ماييه » الروائية الأولى فى كندا ٠٠

أجاثا ٠٠ امرأة ساعدها الحظ

« لم افاجأ بشيء قدر مفاجأتي بالشهرة التى وصلت اليها،وان كنت أتمتع حقا بذكاء حاد وأقبل على العمل بجد وأحيا حياة المرأة البسيطة التى لاقت كثيرا من حسن الحظ ٠٠ » ٠

هكذا قالت « اجاثا كريستى » فى كتابها الاخير « قل لى كيف تعيش ؟ » وهو شيء آخر ومختلف تماما عن الرواية البوليسية التى تخصصت فيها الكاتبة وحققت شهرتها من خلالها ، فالكتاب أقرب الى « أدب الرحلات » والى « السيرة الذاتية » فى الوقت نفســـه ٠٠ و « اجاثا كريستى » التى توفيت عام ١٩٧٦ عن خمسة وثمانين عاما وثمانين رواية بوليسية وثروة تقدر بعشرة ملايين جنيه استرلينى ٠ اسمها الحقيقى « مارى كلاريسا اجاثا ميللر » فوالدها فريد ريك ميللر كان من اثرياء نيويورك ، تزوج فى رحلة الى انجلترا من سيدة ترعى الاطفال وتعلمهم مبادىء الدين رغم انها غيرت دينها الأصلى خمس مرات ، فقد كانت كاثوليكية المولد ولكنها وصلت الى حـــالة من الصوفية التى تتصل بالخالق مباشرة ٠

أنجبت هذه السيدة المؤمنة ابنتها « اجاثا » عام ١٨٩٠ ، وبعد احد عشر عاما توفى الزوج الامريكى وأخذت الأم تقرأ لابنتهـــا مغامرات شرلوك هولمز ، بينما كانت الابنة مشغولة بالغناء الأوبرالى لتمتعها بصوت جميل دون أن يكون صوتا قويا ٠٠ وفى عام ١٩١٢ التقت « اجاثا » بطيار اسمه « ارشيبالد كريستى » تزوجته وحملت اسمه ولكن الحرب فرقت بينهما ٠٠ ذهب هو الى جبهة القتال وعملت هى متطوعة فى أحد المستشفيات العسكرية ٠٠ فى هذا المستشفى

تعرفت « اجاثا » لأول مرة على السموم الفتاكة ودرست كل مايتعلق بها ، كيف تقتل ، ومن تقتل ، ولماذا تقتل ؟ ٠

وفى احدى الحفلات الاجتماعية الكبيرة عاشـــت « اجاثا » أحداث جريمة قتل تمت بدس سم زعاف فى الطعام ، فعادت الى مراجعها العلمية وكتبت أول رواية بوليسية لها وهى المعروفة باسم جريمة الحفل وقدمت « اجاثا » روايتها الى أكثر من ناشر ولكنهم جميعا رفضوها واستنكروا موضوعها وأسلوبها أيضا ٠٠ الى أن اتصـــــل بها مدير دار نشـــر « بودلى هيـــد » فى اعقـــاب الحرب وسلمها عقدا ومبلغا يقدر بخمسة وعشرين جنيها . مما دفعها بعد ظهور روايتها الأولى الى كتابة روايتين تولى الناشـــر نفسه نشرهما وهما « مستر براون » و « جريمة الجولف » ٠

وفى عام ١٩٢٦ اصدرت « اجاثا» رواية «مقتل روجيه اكرويد» التى حققت شـــهرة كبيرة ووضعتها على بداية الطريق جنبا الى جنب ابنة اسمتها « روزالند » وسيارة صغيرة وناشر جديد اسمه « كولنز » ٠

ولكن احداثا مفاجئة ومتلاحقة تكاد تودى بالروائية الشـابة وهى بعد على أولى درجات سلم النجاح والمجد ٠٠ ماتت امها على أثر أزمة قلبية وانفصل عنها زوجها وفقدت ابنتها الثانية « موريس » دون أن يعثر لها على أثر ٠٠ ومع هذا لم تقل شيئا حتى مذكراتها التى ظهرت بعد وفاتها بعام واحد ٠

وتمر الأعوام دون أن تمسك « اجاثا » بالقلم ، الى أن تلتقى عام ١٩٣٠ فى مدينة بغداد بالعالم « ماكس ماللووان » وتتزوج منه وتعود الى الكتابة وفى رصيدها رواية ترجمت الى عدة لغات ٠

تقول « أجاثا كريستى » مستغربة » اعتدت الا أفكر فى رواية جديدة الا وأنا آخذ حمامى ومستلقية تماما فى البانيو ، اقضم تفاحة حمراء » ٠

والغريب أكثر انها كانت تدخل الحمام عندما تتعثر الاحداث على قلمها لتخرج منه بلغز جديد أو بحل للغز شائك ٠٠

وقد قامت « اجاثا » بزيارة الى كل من سوريا ومصـــر مع زوجها الأخير الذى أضافت اسمه الى اسميها حتى بعد ان نالـت شهرتها ، فاصبح اسمها الثلاثى « اجاثا كريستى مالووان » بهذا الاسم كتدت فى سوريا « الموت ليس نهاية » وكتبت فى مصر « موت على النيل » التى تحولت الى فيلم سينمائى امريكى ٠٠٠

بيلو ٠٠ الفائز بجائزة نوبل

يقول هنرى براندن « ان مظهر الكاتب الأمريكى « صول بيلو » ونظراته الثاقبة تجعله يبدو جريئا ومقداما وان علت وجهه ابتسامة رقيقة ٠٠ وهو لهذا يختلف عن بطل روايته الشهيرة أو أشهر رواياته « هيرزوج » ٠٠

و « هيرزوج » هى خامس أعمال الكاتب وليس أخرها ، تليها فى الشهرة والانتشار رواية « صانع المطر » التى نشـــرت قبلهـــا بسنوات ٠٠ و « هيرزوج » مدرس متواضع نشر كتابا حقق له شهرة كبيرة ظل يعيش عليها رغم أنه محارب قديم ، ولكن فى معركة الحياة ، ومعركة الحياة الزوجية بصفة خاصة ٠

فقد تزوج مرتين وخلف له الزواج متاعب كثيرة اقلها ابنته الصغيرة ، يجتين ٠٠ والواقع ان ذكريات هذا الزواج الغريب هى التى تشكل النسيج الحقيقى للرواية حتى ان السياق لكثرة اتساقه وصدقه يوحى بأن الاحداث واقعية ، وقعت للكاتب نفسه ٠٠ ويتساءل هيرزوج هذا من حين لآخر عما اذا كان مصابا بالجنون ، حتى يقنع نفسه فى النهاية أنه مجنون بالفعل ٠٠ ومن مظاهر هذا الجنون أو هذا الاقتناع بالجنون ، تلك الرسائل الغريبة التى يرسلها بلا كلل الى الرئيس الأمريكى بالبيت الأبيض والبابا والفاتيكان والفيلسوف الوجودى هيدجر فى قبره ولأشخاص مجهولى الأسماء والعناوين وتنتهى الرواية فى ليلة موحشة من ليالى الشتاء ، خـــرج فيهـــا هيرزوج ليطوف حول بيت زوجته الاولى ومســـدسه بيده ، ويظل

هكذا حتى يطلع النهار لتكون احدى السيارات العابرة قد صـــدمته فيسقط صريعا امام بيت زوجته وأم ابنته الوحيدة ٠

وهكذا تبدو الرواية ترجمة ذاتية للكاتب فيما عدا حـادث الموت الا أنها ليست كذلك ٠

و « هيرزوج » رواية فكرية ولكنها لاتنتمى الى الأدب الأمريكى فى شىء ، فيظل صول بيلو يمر بأزمة طاحنة ، تركته زوجته بعد أن جردته من كل شىء حتى من ابنته ، وزوجته الثانية هجرته بلا سبب والجامعة طهرته وطردته بلا واقعة ثابتـــة ٠٠ ويمكن القول بأن « هيرزوج » مجرد كتاب مختصر فى الفكر قصد به « بيلو » اذهال القارىء الأمريكى العادى بوضعه امام ثقافـــة رفيعة تتمثل فى تلخيص فلسفة كانط وهيدجر وغيرهما ٠٠ كما يمكن القول بانها « لا رواية » أو « ضد الرواية » وهى المصطلح الذى شاع أخيرا فى أعقاب استقرار « الرواية الجديدة » فى فرنسا ٠

هذا عن « هيرزوج » أهم روايات « صول بيلو » ٠٠ فماذا عن أهم أراء « صول بيلو » ومواقفه ؟

يثير « بيلو » قضية من أهم القضايا رغم قدمها وهى قضـية الالتزام ٠٠ فمن هو الأديب الملتزم ؟ وبأى شىء يلتزم ؟ وما هى العلاقة بين الالتزام والحرية ؟ وهل هناك أديب لا ملتزم ؟

وبرغم اجابات « جان بول سارتر » على هذه الأسئلة فى كتابه « ما الأدب ؟ » الصادر عام ١٩٤٨ ، الا أن « صول بيلو » له آراء جديدة وجريئة معا نلمسها فى رواياته الأخرى الى جـــانب روايتى « هيرزوج » و « صانع المطر » وأهمها رواية « مغامرات أوجى مارسن » ، التى نال عنها جائزة ابوارت وجائزة فورمنتور ٠

فصول بيلو يرى ان الكاتب حر فى أن يلتزم وفى الا يلتزم

وليس النقد بوصى عليه مهما كانت حججه ٠٠ ثم يندد « بيلو » بديكتاتورية الأساتذة والنقاد وتأثيرهم على الأدب ، فهو يرى أن لكل صاحب نظرية وكل معتنق لمذهب لا يتعرض بالنقد لعمل ما أدبيا أو فنيا الا وحاول أن يلف فيه على كل ما من شأنه تجريح هذا العمل أو ذاك ، ولا يمتدح العمل الا اذا وجد فيه ما يخدم قضاياه ، وكأن النقد يريد بذلك أن يسخر الكتاب والفنانين لخدمة معتقداته هو ، بل يصل الى حد الالتزام بترويج هذه المعتقدات والدفاع عنها ٠٠ وعند « بيلو » أن مهمة النقد هى دراسة العمل وتحليله بناء على أسس ونظريات نقدية لا تدخل فى دائرة السياسة ولا الدين ولا الاخلاق ولا حتى النظم الاجتماعية ، هذه الأسس وتلك النظريات هى اصلا قائمة على الخلق والابداع الذى يخضع لعلم الجمال ٠

ولكن مافات « صول بيلو » هو أن بعض هذه النظريات النقدية قائمة بالفعل على علم الجمال ، ولكنها قائمة أيضا على أسس اجتماعية وسياسية بصفة خاصة ٠٠ وتاريخ الأدب حافل بما نطلق عليه « الواقعية » و « الواقعية الاشتراكية » ولكن « بيلو » يعود فيهاجم المثقفين بصفة عامة و « الواقعية العلمية » و « الطبيعة » وهكذا ٠٠ رغم اعترافه بأنهم « ذخيرة المجتمع وحماة الدولة » ٠٠ وهو يهاجمهم بحجة أنهم مغرضون وان لهم اطماعا فكرية تدعو الى الخوف منهم وعدم الثقة فى آرائهم رغم احترامهم وتقديرهم ٠

وبهذا يعلن « بيلو » عن التزامه واعترافه بضرورة الالتزام ، ولكنه الالتزام الحر ـ على حد تعبيره ـ فهو التزام لا يمس حرية الفكر والمفكرين ولكنه لا يتعارض ابدا مع معايشة الحياة المعاصرة والصدور عنها بكل ما فيها من مشاكل وقضايا وأمانى وأحلام ٠

يقول « صول بيلو » نحن لا نريد مثقفين سلبيين كهؤلاء الذين يتخذون أماكنهم فى دور العلم أو فى مجالات النشر المختلفة ، وانما نريدهم ثوريين أولا ومثقفين بعد ذلك ٠

ويرى « بيلو » ان أدباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا على معرفة حقيقية بالمشاكل الاجتماعية ٠٠ أما أدباء القرن العشرين فقد تركوها لمن يعملون فى مجالات التخصص ٠٠ ولذلك نادرا ما نجد أديبا من أدباء العصر يعالج مشكلة الحرب أو مشكلة الكفاح من أجل المساواة واذا تحقق هذا الشىء النادر وتكلم أحدهم عن مشاكل العصر فهو لا يضيف جديدا ، بل يكون حديثه انعكاسا لوجهات نظر الطبقة التى ينتمى اليها ٠٠ أما مشكلة المشاكل فهم انصاف المثقفين — ان صح هذا التعبير — فهؤلاء قادرون على تضليل الجمهور وتشويه الذوق العام خالقين بذلك مستويات مزيفة ومفاهيم خاطئة ٠٠ وهكذا يتغير وضع الكاتب ، فلم يعد هو ذلك الشخص الذى يبرىء الأرواح ويشفى النفوس كما كان فى القرن التاسع عشر ، بل هبط مستواه الى مجرد موظف روتينى فى صفحة الأزياء بالجريدة أو مجرد ناصح للعشاق والمراهقين ٠٠ ولا يعتقد « بيلو » — ولا نعتقد — ان هذه هى رسالة الكاتب الحق على الرغم من أن كثيرين يقبلون على هذه الأشياء ليصبحوا شخصيات جماهيرية مشهورة ٠

ويتعرض « بيلو » لمناهج التدريس فى المعاهد والجامعات مبينا ان التقليد الراسخ طريق خاطىء لأن التركيز على أعلام الأدب والفن فى العصور المنتهية دون الاهتمام بالعصر الحالى شىء من شأنه ابعاد الجيل الجديد من المتعلمين عن تيار العصر بمشكلاته وقضاياه ، وليست حجة عدم دراسة الأديب أو الفنان الا بعد موته حتى تكتمل أعماله ويصبح ملكا للتاريخ بالحجة التى يعمل لها أى حساب ، فجامعة السوربون تعمل بهذا المبدأ فى الدراسات العليا وحدها ولا ترتبط به فى السنوات الأولى حتى الليسانس ٠

ولا يتردد « صول بيلو » الأديب الأمريكى فى اعلان فكره الاجتماعى وهدفه الانسانى وهو التعايش السلمى واقرار السلام

والحرية فى عالم يحيا على أعصاب منهارة تتهدده القنبلة الذرية ويصدمه الخوف من تهور بعض الساسة والحكام ، أولئك الذين يسيطرون على الميزان الدولى ويستندون الى القوة الغاشمة ويعتمدون على الأسلحة الذرية اللا انسانية ٠

ان الخلاص ــ كما يرى بيلو ــ لم يعد فى يد الساسة والحكام بقدر ماهو بيد الأدباء والفنانين ٠٠ فسلاح المستقبل هو الكلمة والنغمة والصورة ٠٠ من أجل الخير والحرية والسلام ٠

هذا هو « صول بيلو » الكاتب الأمريكى الحاصل على جائزة نوبل العالمية للآداب ٠٠ وهذه هى مبرارات فوزه بالجائزة ٠

وفى التليفزيون وعلى صفحات بعض الجرائد أثيرت على صعيد النقد والأدب العربيين قضية الالتزام الأدبى وما يدور حول هذه القضية من أسئلة وتساؤلات : من هو الأديب الملتزم ؟ وبأى شىء يلتزم الأديب ؟ وماهى العلاقة بين الالتزام والحرية ؟ وبين الالزام والالتزام ؟ وماهى مواصفات الأدب الملتزم ؟ وهل هناك أديب لا ملتزم ٠٠ لا ملتزم بماذا ؟ وكلها أسئلة أو تساؤلات قديمة بطبيعة الحال ٠ قديمة لأن تاريخها يرجع الى صدور كتاب « ما الأدب ؟ » عام ١٩٤٨ للفيلسوف الوجودى جان بول سارتر أكبر من طرح قضية الالتزام للمناقشة وأروع من تقدم فيها برأى حتى الآن ، ومؤدى رأيه أن الالتزام هو التعمق فى وعى العصر بما لا يتعارض مع الخلود ، فالمسائل الموقوته والقضايا المحلية لا تموت بانتهاء العصر كما يظن البعض ٠ والكتابة ، داخل اطار الالتزام ، هى كشف للعالم ولجوء الى ضمير الآخرين ، اذ لا يحال برسومها وأشكالها وانغامها على مدلول آخر كما هى حال الأدب ، أما التصوير والنحت والموسيقى ، فهى فنون ليست مطالبة بالالتزام ، ذلك أنها أدوات لا يمكن أن تتساوى بالكلمات ٠

وليس المهم ان يعاد الكلام فى قضية الالتزام مرة أخرى ولكن المهم هو الدلالة الثقافية والاجتماعية التى دعت الى اعادة النظر فى هذه القضية القديمة من جديد ٠٠ لا على الصعيد العربى فحسب، بل وعلى الصعيد الاوروبى أيضا ٠٠

فقد طرح ملحق « الفيجارو ليتيرير » آراء عديدة وموضوعات اضافية عن الصراع الدائر بين النقد القديـــم أو التقليدى والنقد الجديد أو الحديث ، فعرضت وجهات النظر المختلفة فاردة لهـــا صفحاتها ٠٠ من أهم هذه الآراء التحليل الذى قدمه ريمون بيكار مؤلف كتاب « نقد جديد أم خداع جديد ؟ » وكذلك تفسير رولان بارت مؤلف كتاب « نقد وحق » ٠

كما قدم الملحق الأدبى « للتايمز » تحليلا كاملا للكتابين معا وعرضا وافيا لكتاب سيرج دوبروفسكى « لماذا النقد الجديد ؟ » ٠

ومنذ فترة ، عقد نادى بان مؤتمره الدولى الرابع والثلاثين وفيه نزل الكاتب الأمريكى الكبير صول بيلو بضربته القاضية على الأساتذة والنقاد الذين يتحكمون فى الأدب والادباء ٠

ما الذى قاله صول بيلو ؟

قال ان الكاتب أو الفنان حر فى أن يتبنى قضية أو يدافع عن مبدأ أو يعضد نظاما ، وحر كذلك فى أن يؤمن بنظرية « الفن للفن » أو « الفن للحياة » أو « الفن لله » ٠

فمن حيث يصدر الكاتب أو الفنان ينطلق الناقد ، لأنهما ان لم يقفا على قاعدة واحدة أصبحا متباعدين تباعد طرق الصحراء أو شاطىء البحر ٠٠

هؤلاء المثقفون ، ويقصد بهم الأساتذة والنقاد ، هم ذخيرة

المجتمع وهم حماة الدولة ، غير أن اطماعهم الفكرية تجعل الخوف منهم يقف جنبا الى جنب مع احترامهم . فاذا كان ينظر اليهم وحتى الى الطليعيين منهم فى فجر الحرب العالمية الثانية على انهم لا منتمون ولا مهتمون وقليلو الاكثرات فان الوضع اليوم قد تغير ، وأصبح الطليعيون وحتى « التأخريون » مسئولين مسئولية كاملة تجاه الأدب والأدباء وتجاه الفن والفنانين وتجاه المجتمع ونظمه وتجاه الدولة وبنائها وتجاه العالم وسلامه وتجاه الانسانية كلها .

وهكذا نجد أن صول بيلو الذى بدا فى بداية حديثه وكأنه كاتب غير ملتزم ، الا أنه سرعان ما عاد ، وقبل أن يستكمل هذا الحديث ، ليكشف عن كاتب يتربع فوق قمة الالتزام .. هذا الالتزام الذى يعنى به معايشة الحياة المعاصرة والصدور عنها ، كما يعنى به عدم المساس بحرية الفكر والمفكرين ..

وكما تعرض بيلو لمناهج التدريس تعرض كذلك للأساتذة ، هؤلاء الذين يخرجون أجيالا متعاقبة من الشباب ينتشر فى القطاعات الثقافية عاملا بالتدريس أو مشتغلا بالكتابة أو متمرسا بالصحافة أو « موظفا » بدور النشر أو « موزعا » على أجهزة الأعلام هؤلاء الأساتذة يخلعون تأثيرهم بالكلاسيكيين المحدثين : جويس وشو وبروست واليوت ولورانس وفاليرى .. على هذه الأجيال التى تؤثر بدورها على الجيل المعاصر وما بعده من أجيال .

ولكن ، هل يصل فهم أولئك وهؤلاء جميعا الى الدرجة التى تسمح لهم بالحصول على لقب « مثقفين » كما حصلوا على لقب « خريجين » ؟

يقول صول بيلو ان الجامعات تخرج الافا مؤلفة من المؤهلين ولكنها مع هذا لا تخرج غير عشرات من انصاف المثقفين الذين يستكملون نصفهم الثقافي الآخر بعد تخرجهم من الجامعة وبعد

ممارستهم للحياة الأدبية ، مع مراعاة أن النصف الأول لم يحصلوا من الجامعة بقدر ما حصلوه من جهودهم الفردية وقراءاتهم الخاصة ٠٠ وهذا راجع الى المناهج والأساتذة ٠٠ فالمناهج مكدسة وغير وافية والأساتذة مجرد « ناقلين » أو « شراح » ، ويبقى الخلق للنقاد خارج منابر العلم ٠

وأعلن بيلو وسط ٥٠٠ عضو يمثلون ٥٥ دولة أن تعليم اللغات الحية أفضل وأنفع من اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات القديمة الا بالنسبة للمتخصصين ، والمتخصصين جدا ، فالدارس يضيع وقته فى تحصيل مبادىء هذه اللغات المتآكلة دون اجادة تامة لها ، وما ان يخرج الى الحياة العملية حتى ينساها لأنه لا يمارسها نتيجة غيابها عن مطالب الحياة ٠

أما معرفة اللغات القديمة فيمكن الافادة منها فى نقل التراث الى اللغات الحديثة أو فى اكتشاف الآثار والكشف عنها ٠ وهذه مهمة تشبه تماما الاهتمام بتدريس أعمال الأدباء والفنانين ، منذ فجر التاريخ وحتى القرن التاسع عشر ، دون الالتفات الى المحدثين والمعاصرين ٠

الا أن حركة الترجمة يجب أن تنصب على النقل من والى اللغات الحية الحديثة للتقريب بين الشعوب التى تعيش فى ظروف عصر واحد ٠٠ وبهذا يسهل الالتقاء حول فكر اجتماعى له هدف انسانى واحد ، والاتفاق على مبدأ وحيد هو ولا جدال مبدأ التعايش السلمى واقرار السلام والحرية ٠

وهكذا نجد ان صول بيلو قد نقل الأدب والفن الى قلب المعركة السياسية مع الفكر النقدى من أجل حياة آمن ، بل ووضع على عاتقهما ، الأدب والفن ، مسئولية تدعيم السلام وفض النزاع القائم بين المعسكرين الخطيرين ٠

وفى نهاية حديثه اعرب صول بيلو عن اسفه الشديد على الوقت الذى يضيعه أعضاء المؤتمرات الدولية بأنواعها المختلفة ٠٠ فهم لا يدخلون بخطة عمل واضـــحة ولا بنوايا صـــادقة فتكون النتيجة أن يخرجوا بدون أهداف وحتى ان هم سجلوا عددا قليلا من الأهداف فانهم لا يضعون لها قوانين تحميها وتكفل ضمان تطبيقها ٠ فالقوة دائما هى الحق ٠٠ أو كما قال الشاعر الفرنسى الكبير لافونتان فى عبارة شهيرة له « ان منطق الأقوى هو دائما المنطق الأفضل » ٠

ولكن صول بيلو الكاتب التقدمى المؤمن بعدالة المصير ، مصير الانسان ، وبالامل فى الانسانية ، انسانية كل الشعوب ، يعود ليؤكد أن سلاح المستقبل هو « الكلمة » كلمة كل المثقفين التى تستطيع وحدها ان تجمع شعوب الأرض حول النداء الحار من أجل الخير والحرية والسلام ٠

ماركيز ٠٠ بعد فوزه بجائزة نوبل

هو « جابرييل جارسيا ماركيز » مؤلف « ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ١٩٥٥ و « مائة عــام من العزلة » ١٩٦٧ و « خريف البطريرك » ١٩٧٥ ٠٠ فضلا عن روايتيه « مأتـــم الأم الكبيرة » و « الازمنة الصعبة » وقصة فيلم « لا لصوص فى هذه المدينة » بالاضافة الى سيناريوهات عدد من أفــلام « الموجـــة الجديدة » وتحقيقات صحفية اشهرها « قصة غرق البحــارة الكولومبيين » و « عملية شارلوت » التى اقتحمت فيها القوات الكوبية انجولا ٠٠ الى جانب رحلاته الصحفية والثقافية الى برشلونة وباريس وهافانا ونيويورك وكاراكاس ٠٠ وصداقاته بجيفارا وكاســترو وســنجور وباييخو ونيرودا ٠

ولد « جابرييل جارسيا ماركيز » عام ١٩٢٨ بمدينة الجبال والتلال « اراكاتاكا » الكولومبية ٠ وانتقل الى مدينة بوغوتا ليلتحق بمدارس الجزويت ثم بكلية الحقوق ولكنه هجر المحاماة الى الصحافة فعمل بجريدة « الاسبكاتاتور » وأنشأ وكالة أنباء « بريتسالاتيتا » حتى استقر فى باريس والى الآن ، عندما فاز بجائزة نوبل العالمية فرع الآداب حيث جاء فى تقرير لجنة الجائزة السويدية باستوكهولم « ومنحت جائزة الآداب للكولومبى جابرييل جارسيا ماركيز لرواياته التى يمتزج فيها الخيال بالواقع فى ظل تركيبة ثرية لعالم شعرى » ٠

اكتسب « ماركيز » عالميته ـ بعد أن ترجمت رواياته الى ست عشرة لغة ـ من محليته الشديدة فكل موضوعاته تدور فى مدينــة « ماكوندو » الساحلية التى لا تمثل كولومبيا وحدها أو أمريكــا

اللاتينية كلها ، ولكنها تمثل فى الوقت نفســه العالم بأسره وهى لاتعبر عن المكان أو الأمكنة بقدر ما تعبر عن الحـــالة الوجدانية والفكرية ، حالة انسان النصف الثانى من قرننا العشرين ٠٠ فاذا كان « ماركيز » قد استهدف قضايا مجتمعه ، الا أنه لم يغفل للحظة قضايا الانسان دون مباشرة وبغير تلميح فى الوقت نفسه ٠ فلا ظل عنده للواقعية أو الرمزية ، بل يكاد يقترب أدبه من « الموجة الطليعية الجديدة » وان ابتعد تماما عن العبثية واللا معقول ٠٠ هو أدب « الواقعية الشعرية » أو « الخيال الواقعى » وهو أدب « البحث عن أسلوب خاص ومتميز » ، لأن الكـــاتب – فى رأيه كما فى رأى الأقدمين والمحدثين – هو الأسلوب فكل ما يمكن أن يقال قد قيـــل منذ زمن بعيد ، ولا تبقى الا طريقة القول وهذه الطريقة هى الشكل أو الأسلوب ٠

لقد اعترف النقاد – وفى مقدمتهم فرنانديز برازو ، وانجيل راما – بأن « ماركيز » هو الذى كشف عن موسيقية اللغة الاسبانية التى ترفعها الى شفافية وشاعرية اللغة الفرنسية فى مجال الأدب وخاصة فى النثر الروائى ٠

وهذا ما يذكرنا بتفرقة « جان كوكتو » الشهيرة بين شـــعر اللغة واللغة الشاعرة أو بين شعر المسرح والشعر فوق المســـرح فماركيز يحمل فى داخله – وهو ينتقل بين الواقع والخيال من ناحية وبين الوهم والحقيقة من ناحية أخـرى – تـــراث وأثر وتـــأثير « شاتوبريان ولامارتين ودوماس وسكوت وبلزاك وفلوبير وفولتير وزولا » بحيث يغلف مضامينه بحرص وشفافية فلا يتركها عارية مكشوفة ولا يحكم استغلاقها ، فهو يركز على الفكرالقومى ويتطرق الى النظريات السياسية والاقتصادية ويتعرض للاوضاع الاجتماعية والآراء الأخلاقية والمواقف الانسانية ، وهو يرسم شخصياته ويحللها بدقة ويصف الأماكن والأشياء ببراعة من بطل الرواية الى عابـــر

السبيل من البيت الى حبة الرمل ، فى جو كونى ضارب فى جـذور الماضى ، جاثم على صدر الحاضر ، محلق فى سماء المستقبل ٠٠ انسان ماكوند وهو الماضى وانسان أمريكا اللاتينية وهو الحاضر وانسان العالم وهو المستقبل ٠

عالم الفكر والأدب والفن اذن هو « جابرييل جارسيا ماركيز » الذى يؤمن بأن الكتاب والفنانين ليسوا « مركز الكون » ولكنهـم « ضمير المجتمع » ٠ كما يؤمن بأن « قارىء العصر » لا يقل ذكـاء وادراكا عن « كتابه » فهو لا يحتاج الى من يطلعه على مآسيه أو يكشف له عن غياب العدالة ، لأنه يعرف كل هذا ويعرف أكثر من هذا حياة ومعاناة ، وأنما هو بحاجة الى فكر جديد وأدب جديد وفـن جديد ، ففى الفكر والأدب والفن ــ الجاد والجديد ــ توعية وتحريص أو استشراف وتبشير ٠

اتخذ « ماركيز « من » الانسان « محورا لفكرة الرفيع ، فرفعه « الانسان » الى قمة كتاب العصر المبدعين ٠

دراســات عربيــة

الرواية الأكتوبرية .. وأدب ما بعد النصر

أدب النصر يختلف عن أدب الهزيمة على الرغم من أن كليهما يصدر عن انفعالة مفاجئة ويعبر عن حالة راهنة سواء كانت تؤدى هذه الحالة الى تغيير أو هى غيرت بالفعل وسواء قضت على وضع قديم أو أدت الى وضع جديد ، قصير أو طويل الأجل أو ربما أبدى الأجل أيضا ...

وأدب الحروب الذى يكتب اثناء أو بعد المعارك بغض النظر عن نتائج هذه المعارك سلبا أو ايجابا هو فى واقع الأمر أدب مناسبات مهما حقق من خلود أو عبر عن مشاعر انسانية وقيم روحية وآراء بناءة وأفكار مستقبلية .

والأدب المرحلى هذا اما أن يكتبه أدباء محترفون أو يقتحمه هواة منفعلون ومتأثرون بالأحداث نتيجة لمشاركتهم الفعـــالة أو مشاعرهم الفياضة ..

والرواية كفرع من فروع الأدب ، ربما كانت من أقدر الفنون التعبيرية استجابة لأحداث الحروب وهى بالتأكيد المهيأة لسرد تلك

الأحداث بالتفصيل فى مواجهة القصة القصيرة التى تلتقط لحظات ومشاهد وتكتفى بالتكثيف ، والشعر أيضا الذى يحول الخيال الى حقيقة ويحول الواقع الى احلام ..

والرواية فى تلك الظروف قد تحتفظ بعناصرها وأسـاليبها وأشكالها ولغتها أو بعضها وقد تأتى بالجديد الذى ينبثق من الأحداث وقد تبتعد تماما عن قوالب الرواية والبديلة لترتدى ثيابا أدبيـة متنوعة أخرى مثل اليوميات والمذكرات والكلمات والمقالات أيضا ..

ولا نستطيع ونحن نمهد للحديث عن أدب النصر أو بالتحديد الرواية الاكتوبرية أن نغفل ولو ذكر أدب الهزيمة أو بتحديد أدق رواية يونيو المعبرة عن الغضب المنادية بالثأر والثورة ..

وهذا طبيعى فالمرارة والحسرة والأسى والصدمة وربما اليأس أيضا كلها مشاعر تعترى المواطن حيا أو قارئا أو كـاتبا عقب النكسة والهزيمة ..

أصدر « مصطفى بهجت بدوى » كتابا بعنوان « كلام عنا وعن اسرائيل .. من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر » يتناول فيه بطريقة المقالات اليومية والاسبوعية والافتتاحيات ما حدث فى يونيو وما جاء بـه اكتوبر ، ورغم أن الكاتب شخص واحد الا أن اللهجة والاحساس والمنطق والرؤى قد اختلفت ..

وأصدر « جمال الغيطانى » وهو روائى معروف كتابا بعنوان «المصريون والحرب .. من صدمة يونيو الى يقظة أكتوبر » يصف فيه بأسلوب المذكرات والذكريات ما شاهده بين الحربين ، ولكن برؤيتين مختلفتين ..

وأصدر « حمدى الكنيسى » وهو مذيع ومقدم برامج أدبيـة معروف ، كتابا بعنوان « اليوم السابع » مستخدما شكل اليوميات

داخل جبهة القتال مستثمرا وجوده كمراسل حربى ، عايش المعارك وان لم يشترك فيها ٠

وكمراسل حربى أيضا ، استغل « مرسى عطا الله » وهو صحفى معروف متابعته للمعارك وأصدر كتابا بعنوان « حقيقة الثغرة فى الدفرسوار » مؤكدا على الغلاف انها « رواية الحــــرب من غرفة العمليات » وبذلك نقل الأحداث وعالج المواقف بأسلوب روائى دون أن يتقيد بالشكل الروائى ٠٠

وبطريقة المذكرات المباشرة أصدر « ابراهيم عزت » كتابــا بعنوان « لا يمكننا دفع المصريين الى الخلف » مستندا الى أقوال العدو نفسه ورواياته وكذلك أقوال الكتاب الذين شاهدوا وسجلوا دون أن يقحموا أنفسهم كطرف فى الصراع ، مثــل كتاب « يـــوم الغفران » للصحفيين الاسرائيليين السبعة ٠٠

ومن هذه الكتب صدرت نوعيات كثيرة مختلفة بأقلام متخصصة ولكنها ليست روائية ، فيما عدا « عصام دراز » الذى كتب « قصة حب من يونيو ١٩٦٧ » و « يوســـف القعيد » الذى كتب رباعيـــة « الحداد » على طريقة رباعية داريل « الاسكندرية » ورباعية فتحى غانم « الرجل الذى فقد ظله » ورباعية نجيب محفوظ « ميرامار » ٠٠ كما كتب « أخبار عزبة المنيسى » وهى مكونة من أربعة فصول زمنية دون أن تكون رباعية بالضرورة ٠

و « بهاء السيد » الأديب المقاتل معا ، الذى كتب مجموعة قصصية تقترب من الرواية بعنوان روائـــى أيضــــا هــو « السفر فى الليل » وتضم « رتوش فى حديقة الصمت » و « لصوص من نوع آخر » و « عندما يختنق القمر » و « المسافة الضيقة » و « رحلة الجانب الآخر » و « أحمس وحركة الأصبع الأخيرة » وقصــــصا

أخرى تقترب من المعركة دون أن تلمسها لمسا مباشرا أو تكتوى بنارها تماما ٠٠

و « مجيد طوبيا » الذى كتب « أبناء الصمت » ليصور أثر صدمة يونيو فى الاستعداد لأكتوبر مرورا بالحرب واللاحرب ومعايشة لحرب الاستنزاف ، كل هذا بهدوء أعصاب من ناحية ونفوس تغلى من ناحية أخرى ، ببرود عقلى فى اتجاه الاعداد والتخطيط وقلوب ملتهبة بالحماس والأقدام ٠٠

أما كبار الكتاب فقد شاركوا بالكتابة التى تستمد بريقها من تخصصاتهم دون أن تنطلق الى تلك التخصصات الأدبية والفنية ، مكتفية بالوصف والتصور والتعليق ، من هؤلاء شيخ الكتاب « توفيق الحكيم » الذى أطلق تعبير « عبرنا الهزيمة » فى مقالاته القصيرة جدا ، حتى صار التعبير رمزا للنصر وعلامة على الرحلة ودلالة على الاصالة ٠ وكتب شيخ الروائيين نجيب محفوظ « دروس أكتوبر » وفيها أطلق عبارة « ردت الروح » ليرد على الحكيم ويدلل على حضارتنا الانسانية الخالدة برؤى ثاقبة ولغة روائية متطورة ٠ وبطريقة النقد والتحليل والتفسير تناول « الدكتور لويس عوض » حدث العبور فى سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان « الأدب والمعركة » بلغ فيها قمة التصور ودقة التصوير ٠٠

ولأنه ضابط سابق كتب « يوسف السباعى » بلغة عسكرية وأسلوب حربى عن « الفكر والفن » مؤكدا انهما من أخطر الأسلحة وجاءت كتاباته عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر العظيم ، سجلت فى معركة التحرير والمصير ٠٠ ويكتب « ثروت أباظة » فى سياسة الحرب وحرب السياسة عاقدا الصلة الوثيقة بينهما رافعا شعار الحرية كخطوة أولى فى طريق التحرير والنصر ٠٠ أما « أنيس منصور » فيكتب بطريقته السلسة الطريفة

عن « رقم ٦ » فى حياتنا ودلالاته وعلاماته ومؤشراته ونتائجه ··

ودون أن يتخلى الشعراء عن قالبهم الشعرى أخذوا يروون الأحداث فى قصائدهم بعد امعان النظر واعمال الفكر وارهـــاف الحس ·· كتب « أحمد عبد المعطى حجازى » اغنيات للوطن ، وكتب « فاروق شوشة « اغنيتان لمصر » ، وأصدر « فتحى سعيد » أول ديوان عن حرب أكتوبر بعنوان « مصر لم تنم » تلك العبارة التى تحولـت الى أنشودة يرددها الشعب ويحفرها التاريخ فى كتبه وذاكرته ··

وقبل أن نتفرغ للحديث عن الرواية الاكتوبرية بحق ، نسجل هنا ما وقعنا عليه من الانتاج القصصى أو الصورة المصغرة من الرواية ، نجد أن الاديبة « لوسى يعقوب » قد أصدرت مجموعة بعنوان « عذراء سيناء » عبارة عن صور لبطولات وطنية من واقع أكتوبر العظيم ، سجلت فى انفعالات المعركة ، ويكفى ان نقرأ أسماء قصصها القصيرة لندرك المعانى التى تسعى الى تأكيدهـا والمشاعر التى تتمسك بتسجيلها ، مثل « حفنة من رمال سيناء » و « عبيــر النصــر » و « ملحمة البطولة » و « تحقق الأمـــل » و « انشودة السلام » ·· ومثل « أكثر من الحب » و « وما أحلاه من عيد » و « الخطوة الواثقة » و « دمعة باسمة » تصويرا للبطولات الانسانية المصاحبة للبطولات العسكرية والناتجة عنها ··

وفى مجال القصة القصيرة أيضا أصـــدر أديب الســويس « محمد الراوى » مجموعة « الركض تحت الشمس » من واقع المعارك ومن داخل الخنادق مركزا على مدينته المضروبة والمحاصرة طارقا بذلك جانبا آخر من جوانب المعارك وهو الاثار المترتبة على تلك المعارك ، وهى هنا الهجرة والمهجور ، والجثث والضحايا والأمـل الضائع والحلم المفقود ·· ولنقرأ بعض أسماء هذه المجموعة مثل

« هجرة الى الداخل » و « مرثية حب » لنقف على المعنى الذى يريد أن يعبر عنه الكاتب ٠٠

والى جانب الأدباء الشبان المحترفين تظهر كوكبة من الشباب المقاتل الذى يكتب لأول مرة بدافع التعبير عن المعاناة سواء تلك التى انتهت بالنصـــر أو احيطت بالهزيمة ، من هؤلاء « ابراهيم عبد المجيد» الذى احترف الكتابة بعد ذلك وخاصة بعد أن أصدر تعقيبا على حرب يونيو رواية جيدة وشيقة بعنوان « فى الصيف الســابع والستين » ٠٠ أما « تعليقات من الحرب » فهى قصة روائية أو رواية فى قصة تربط بين النكسة والنصر من خلال شـــباب المرحلتين أو الحقبتين أو الحدثين ٠٠ ومن هؤلاء أيضا المقاتل « حسن عطية » الذى كتب « الخروج من حفر الدفاع السلبى » ليبين اثر وتأثير « سام ٧ » فى المعارك الحربية مستخدما بضمير المتكلم الذى ينقل تجربته الحية مباشرة دون وسيط ، مما جعل السرد يتسم بالصدق وان لم يتميز بالفن القصصى المتمكن لغة وبلاغة ٠٠ ويجىء مقاتل آخر هو « محمود عبد الوهاب » الذى يركز أحداث قصـــته حول « عملية العبور » بالتحديد فيصفها ويوصفها بعد تركيز وتكثيف يتمثل فى العناوين الفرعية التى جاءت على شكل بلاغات عسكرية ووقائع حقيقية ٠

وضمن مجموعة قصصية ومسرحية بعنوان « من وحى اكتوبر » كتبت « عزيزة صادق » كما كتب « صلاح عبد السيد » عن الجانب الانسانى فى المعركة بعيدا عن المعركة ٠٠

وننتقل الى الرواية الطويلة لننقل امثلة وليس حصرا لها ، ان ذكرا مجرد ذكر أو ببعض التلخيص والتحليل ٠٠

تستمد رواية الاديب « نجيب الكيلانى » عنوانها « رمضان حبيبى » من زمن المعركة لأول مرة كما تستمد أحداثها من وقائع

مثيرة ثابتة تاريخيا ، صيغت فى أسلوب قصصى شيق يتميز بدقة التصوير وسلاسة الحوار وتماسك الحدث ·· وفى هذه الرواية يصور الكاتب كفاح الشعب المناضل اثناء معركته الكبرى بذلا وعطاء وتضحيات متصلة على مدى السنين دون أن يصيبه اليأس أو يعتريه الوهن ·· ويبرز الكاتب أثر العامل الدينى فى تكوين الرجال وصنع الابطال والبطولات وتحقيق النصر بارادة وعزة وكـــرامة بـــلا حدود ··

أما رواية الاديب الكبير « يوسف السباعى » التى تحولت الى مسرحية والى مسلسل اذاعى والى فيلم سينمائى ، ونعنى « العمر لحظة » فهى تعبير فورى عن احداث المعركة المصيرية والفاصلة بين مصر واسرائيل : فهى الحرب الرابعة أو هى الجولة الأخيرة بعـد ان فازت اسرائيل بالجولات الثلاث الأولى ·· ولذلك يعبر الأديب المتمكن بحسه المدرب ووعيه السياسى عن « العمر » و « اللحظة » فيكشف العمر كله بماضيه وحاضره ومستقبله فى لحظة واحدة ، ليقول الانسان المصرى على طريقة هاملت الشكسبيرى « أكون أو لا أكون » ·· وعندما يغامر الانسان بمصيره كله فى عبارة موجزة مثل هذه لابد أن تكون لديه الارادة والمقدرة والعزم والتصـــميم والرغبة فى الحياة الكريمة ، ومؤدى كل ذلك النصر ، وهو ما تحقق له بالفعل ·· والرواية بعد هذا ومع هذا لا تغفل المشاعر الانسانية حتى وسط المعارك وبعد المعارك ، لأن الانسان مجموعة من المشاعر والعواطف والاحاسيس والافكار والاحتياجات ، فهو ليس فكرا جامدا ولا هو مشاعر خالصة ، ولكنه تركيبة معقدة غاية فى التعقيد وتراث متداخل غاية فى التداخل وقوانين متشابكة غاية فى التشابك ·

ويوسف السباعى المتابع دائما للاحداث القومية والوطنية الذى يكتب « العمر لحظة » هو نفسه الذى كتب من قبل عن « الحرب

والسلام » وهو الذى كتب « رد قلبى » من المنطلق ذاته ونحو ذات الهدف ··

اما « محمد جلال » كبير كتاب جيل الوســـط فيكتب « قهوة المواردى » ليصور الجانب الآخر من المعركة الدائرة ، جانب الشعب فى الأزقة والحوارى والمقاهى والبيوت الصغيرة فى المدينة الكبيرة والناس على اختلاف درجاتهم العلمية والتعليمية والثقافية والوظيفية والحياتية والعملية ، رجال ونساء وشباب وفتيات وصغار أيضا ، هؤلاء المهتمون المتابعون وأولئك المشـــغولون اللاهون ، وأيضـــا العابثون وغير العابثين ·· وهو لا ينسى - كما لم ينس يوسف السباعى - ان يصور قصة الحب الرئيسية وقصص الحب الجانبية أو الفرعية فى قلب العمل الروائى حتى لا يصاب الفن بالجفاف ، فالدم الذى يجرى على رمال الصحراء والدم الذى يجرى فى العروق انما يتدفق من قلب واحد وشرايين واحدة ·

ومحمد جلال « يجس » نبض الشارع المصرى منذ « صـــدمة النكسة » حتى « فرحة النصر » ·· من خلال شارع واحد فى مصر ، يعكس صورة مصر كلها ·· وهو يصب رؤيته فى قالب روائى يضمه أحداثا وشخصيات ·

ونطالع وتطالعنا روايات أخرى لأدباء آخرين ، نكتفى بذكرها وذكرهم بعد أن تناولها النقاد فى دراسات أخرى ·· « الرفاعى » لجمال الغيطانى ، و « الحرب فى بر مصر » و « الاســبوع سبعة أيام » ليوسف القعيد و « أيـــام من أكتوبر » لاســـماعيل ولى الدين و « دعونى أعيش » لعلاء مصطفى ·· وغيرهم ·

ويبقى السؤال الذى يطرح نفسه بعد الانتهاء من قراءة واعية ممتعة لكل تلك الروايات ·· وماذا بعد النصر ؟ وهو سؤال لابد أن يجيب عليه الروائيون المسجلون الراصدون المحللون لضربات نبض

مصر ، فى روايات نابضة آن الأوان لكتابتها بعد أن سمح البعد الزمنى برؤية الأحداث بعقل هادىء وفكر موضوعى واحساس صادق وحب خالص ٠٠ لمصر ٠٠

وبعد رواية النكبة فى عام ٤٨ ورواية الثورة فى ٥٢ ورواية العدوان فى ٥٦ ورواية النكسة فى ٦٧ ورواية التصحيح فى ٧٠ ورواية النصر فى ٧٣ ورواية السلام فى ٨٢ ستظهر حتما وقريبا رواية الرخاء ، عوضا وعدلا من عند الله سبحانه ٠

اذا جاز لنا ان نقسم الكتاب الى أجيال ، واذا حق لنا أن نحدد هذا التقسيم بثلاثة أجيال حتى الآن ، جيل الريـــادة وجيل الوسط والجيل الجديد ، أمكننا أن نختار نماذج تمثل هذا التقسيم وقصصا قصيرة تعبر عن أوجه الشبه وأوجه الخلاف ٠

وليكن الممثل لجيل الريادة ـ فى هذه الدراسة ـ الأديب « محمود تيمور » وليمثل جيل الوسط الكاتب « يوسف السباعى » ويمثل الجيل الجديد الصحفى « فتحى سلامة » ٠

واستمرارا فى عملية الاختيار ، اخترنا قصة لكل منهم من بين مجموعات قصصية ثلاث ٠٠ الأولى بعنوان « عبيط عبيط » احدى قصص « البارونة أم أحمد » والثانية بعنوان « الشيخ زعرب » وهى القصة التى تحمل عنوان المجموعة نفسها ، والأخيرة بعنوان « على السعداوى » ابرز قصص مجموعة « يسألونك عن الخوف » ٠٠

وكان من الممكن اختيار القصص الثلاث اللاتى تسمى باسمائها المجموعات الثلاث ٠٠ ولكن الصفات والمواصفات المميزة والمتميزة قد جمعت بين الابطال الثلاثة بحيث يسهل عقد مقارنة كاملة بين أسلوب وطريقة كل كاتب أو كل جيل ٠

فعبيط تيمور وشيخ السباعى وسعداوى سلامة يدورون فى الفلك نفسه ويعانون الظروف ذاتها ، يعيشون مشـــاكل متشـــــابهة ويطمعون فى حياة أفضل ويطمحون الى المستقبل ، دون جدوى ٠٠ ولذلك تصادفهم منغصات ومعوقات متقاربة ، أما النهاية فواحدة ٠

ومع هذا فلا يمكننا ان نلحظ أو ندعى ان « السباعى » قد تأثر بتيمور ، أو ان « سلامة » قد تأثر بالاثنين أو بأحدهما ·· بل يمكن التأكيد على ان أحدا منهم لم يقرأ قصتى الكاتبين الآخرين،رغممافى القصص الثلاث من تكرار ، لا ينتمى الى « توارد الخواطر » بقدر ما يشير الى استمرارية الحياة بما فيها من متناقضات واشباه ·

أما قصة « تيمور » القصـــيرة « عبيط » فتدور حول رجل لا عمل له ، ضائع تائه ، يطلقون عليه صفة « العبيط » وهو يدرك معنى هذه الصفة ، ولكنه يســـتنكره فى الوقت نفســـه ويهزأ به دون أن يعلن عليهم رد فعله هذا ·· وتسير حياته ويسير بهـا محاولا شغل وقته وكسب قوته بخدمة المحيطين به أو الذين يحيط بهم ، فيتبرع بخدمة سيدة ميسرة تعطف عليه رغما عن زوجها الذى لا يكن له أى ود ، لأنه كان يغير منه فى واقع الأمر ، الى أن توفى الزوج ، فلم يذرف عليه دمعة واحدة ، كان فرحه لا يوصف بعد ان سمحت له السيدة الارملة بالاقتراب منها أكثر ، لدرجة أنها تركته يغازلها ويطارحها الغرام والعشق بعد انقضاء موعد الحداد ·· فاعتقد أنه أصبح عشيقها ورجلها ، الى أن فوجىء برجل آخـــر يظهر فى حياة سيدته ويشغل وقتها ويأخذ لبها ويبعدها عنه تماما ، خاصة بعد أن تزوج منها وتم الزفاف ، الحدث الذى لم يستطع « العبيط » ان يتقبله ويقبله ، فقـــرر أن يتخلص من ســـيدته حتى لاينالها أحد سواه ، وبالفعل طعنها بسكين حادة ، أخذها الى أمه ليقص عليها قصته كاملة ، مع المرأة الخائنة من وجهة نظره ومع الناس الذين ظنوا أنه « عبيط » ·

هذه الشخصية غير السوية تتشابه تماما كنموذج بشـــرى وشخصية « الشيخ زعرب » غير السوية هى الأخرى ·· فالسباعى قبل ان يقص علينا قصته ، يصفه لنا من الخارج والداخل ، يصف وجهه وهيئته ثم سلوكه ونفسيته ·· هو « عبيط » آخر ، من نوع آخر

ليس من أولياء الله الصالحين وان تشبه بهم ، وليس من المجاذيب وان قلدهم ولكنه « ابله » يتجه نحو التدين وحلقات الذكر ، وفى هذا فقط يختلف عن « ابله » تيمور الذى اتجه نحو المرأة والجنس ٠٠ والشيخ زعرب يحتفل بشكل خاص بتوديع « المحمل » فى منطقة الغفير ، على اعتبار أن « الكسوة الشـــريفة » متجهة الى أرض الحجاز المقدسة لتكسو الكعبة الشريفة ، ويتذكر سلفه « الشـــيخ كتكوت » المجذوب الاكبر الذى اضطر الى سرقة رغيف عيش من مخبز والد زعرب وكاد المارة أن يقتلوه لولا تدخله والافراج عنه ، واليوم ينقلب الحال ويصبح الشيخ زعـــرب مجذوبا مثل المرحوم كتكوت وفى حاجة الى رغيف عيش بعد أن أتت النيران على مخبزه وتشاء الاقدار ان يتلقفه ابن الشيخ كتكوت صـــاحب محل البقالة ليعطيه رغيفا قبل أن تمتد اليه يده ، وفاء لما صنعه مع والده بل ويعده برغيف كل يوم مدى الحياة ٠٠ فلا يملك الشيخ زعرب الا أن يترحم على الشيخ كتكوت ويمضى ٠

ويقدم لنا « ســلامة » شخصية ثالثة غير ســـوية كذلك ٠٠ شخصية « على السعداوى » المدعى « الفشار » الذى « يسوق الهبل على الشيطنة » فهو رجل بلا عمل ومع هذا يدعى أنه سيعمل مستشارا لرئيس مجلس ادارة الشركة العامة للأسمدة بدلا من أن يعترف بالحقيقة ، حقيقة أنه سيعين ساعيا على بابه ، وكذلك كان يـدعى أن الطبيب الذى كان يعمل ممرضا عنده ، لا يفهم فى الطب ، وكان الأمر يصل الى اجراء الكشف الطبى على المرضى وكتابة روشتات العلاج للمرضى بدلا منه ، ولهذا ترك العمل وفضل ان يقدم الخدمات العامة للناس ، فهو يفهم كل شىء ويعرف خبايا كل شىء ، وهو بمعنى آخر « شيخ حارة » تماما مثل « عبيط تيمور » ومثل « زعرب السباعى » ٠٠ ومع هذا فالجميع يعلمون حقيقته ويعاملونه على هذا الأساس ٠٠ حتى ذهب مرة للعلاج بالمستشفى والكشف الطبى

توطئة للتعيين فى وظيفة « الساعى » أو « المستشار » ، فتدخل وتداخل وصار عنصرا يعتمد عليـــه الصـــيدلى والطبيب وعيادة التحليل ، بل ومدير المستشفى ، ونسى وظيفته الجديدة وأقام فى المستشفى وطلب يد ابنة « الحارة » التى كان يحبها ولا يجد مالا ليخطبها ، فقد انهال عليه « البقشيش » من كل صوب ، ولم ينس ابناء حارته فهو يجلب لهم الدواء ويساعدهم على اجراء الكشف عليهم بالمستشفى وهكذا ٠٠ الى أن مات « على السعداوى » الشبيه كثيرا بشخصية على بك مظهر المسرحية ، وان كانت قد كتبت القصة قبل المسرحية ٠٠ويكشف موته عن العجب ، كل العجب ، فقد أخذ الناس المحترمون يتوافدون بلا انقطاع على الحارة لتقديم واجب العزاء ، مما جعل صاحب المقهى يستأجر مزيدا من الكراسى ويقدم مزيدا من القهوة السادة على حسابه وحساب رواد المقهى ترحما على فقيدهم العزيز ، فلما ظهرت الجريدة فى اليوم التالى فوجىء أهل الحارة باسم على السعداوى مسبوقا بلقب دكتور فى نعى وزارة الصحة ونقابة الاطباء والمستشفى ونقابة الصيادلة وهيئات كثيرة كما فوجئوا بمندوب الرئاسة والداخلية والمحافظة يتقدمون «الجنازة» فاضطروا لجمع التبرعات لاقامة سرادق يليق بمقام الفقيد عميد حارتهم وكبيرها دون أن يفارقهم العجب بازاء هذه الشخصية الفذة التى استطاعت أن « تضحك » على المسئولين وتقنعهم بغير حقيقته المتواضعة للغاية ٠

هذه الشخصيات الثلاث لا تختلف الا فى التناول والمعالجة والاسلوب ليس فقط لأن ثلاثة من خيرة كتابنا هم الذين قدموها ، ولكن لانهم يمثلون فى الوقت نفسه ثلاثة أجيال متعاقبة الى حـــد الالتصاق وممتدة بخيط دقيق هو خيط الصلة والتواصل دون انقطاع بين الجذور والفروع أو الاجيال ٠

أما الاختلاف فى التناول فيتخذ عند « تيمور » شكل الحديث

الداخلى وان كان البطل الشخصية الرئيسية ، هو الذى يخاطب نفسه موجها حديثه الى شخصية أخرى لا تسمعه وهى هنا أمه ٠٠ ثم يستمر فى سرد الاحداث على طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » مع مواصلة توجيه حديثه الداخلى الى أمه التى لا تسمعه بين حين وآخر أو فقرة وأخرى ٠

ويتخذ التناول عند « السباعى » شكل المباشرة بين الكاتب والقارىء ، فالكاتب يخاطب القارىء ويخبره فى البداية أنه سيقص عليه قصة ، ثم يشركه معه فى أحداث هذه القصة ، ويفترض أنه ينصت اليه أحيانا ، ويشرد منه أحيانا أخرى ، يمل القصة حينا آخر وهكذا طوال القصة التى يعلق الكاتب على أحداثها بشكل عام وعلى الشخصية بشكل خاص خلال السرد ٠٠ ولعل « السباعى » يشترك مع « تيمور » فى جزئية من طريقة التناول هى جزئية الاسترجاع أو « الفلاش باك » ٠

بينما يتخذ التناول عند « سلامة » الشكل الحديث من ناحية والطبيعى من ناحية أخرى ، وهو وصف الشخصية الرئيسية والأحداث المحيطة بها بطريقة موضوعية لا دخل للكاتب فيها ولاتدخل من جانبه ، فلا هو يخاطب القارىء ولا هو يترك بطله يخاطب نفسه أو غيره ولا هو يلجأ الى طريقة الاسترجاع أو « الفلاش باك » ليعمق الأحداث أو يلقى ضوءا على الشخصية أو يمسك بما قد أفلت منه من وصف أو توصيف أو صفات ٠ وذلك هو التناول السوى للقصة القصيرة ، دون أن يتعارض هذا التناول السوى مع الشخصية غير السوية التى يتناولها ٠

وأما الاختلاف فى المعالجة فيتخذ عند « تيمور » شكل « الرفض » فبطله يرفض فكرة الناس عنه ، فكرة أنه « عبيط » ويرفض الخضوع للأمر الواقع ، فهو يحاول تغيير واقعه بأن يرتفع من

مجرد تابع للسيدة الى عشيق لها · ويرفض الاستسلام ، فهو عندما يفاجأ باتخاذ سيدته رجلا آخر غيره يقتلها ويتخلص منها ·· أما بطل « السباعى » فيتخذ من « الهروب » وسيلة لاستمرار الحياة ، فهو بعد احتراق مخبزه ، مصدر رزقه وسنده الوحيد فى الحياة ، يلجأ الى أولياء الله ويرتدى ثوب المجاذيب يطوف الموالد والمحافل الدينية وخاصة المحمل ثم ينتظر رغيف عيش هو بائع الخبز كله وصانعه فيما مضى ·· بينما يتخذ بطل « سلامة » من « اللامبالاة » وسيلة لاستمراره فى المظاهر التى يقابلها الناس بالسخرية لأن اللامبالاة تمكنه من سلوكه غير السوى سواء اقتنع فى داخله بأنه غير سوى أو ظن فى داخله أن الآخرين هم غير الاسوياء وهو وحده السوى ·· ومع هذا فالكتاب الثلاثة يشتركون فى طريقة واحدة هى « المبالغة » المبالغة فى وصف الشخصيات والمبالغة فيما انتهت اليه تلك الشخصيات ·

واما الاختلاف فى الأسلوب فيتمثل فى اللغة المتقعرة والكلمات القديمة غير المستخدمة والعبارات المعقدة غير السلسة والتى أخذت حدتها تخف من جيل الى آخر ، فمن جيل تيمور الى جيل السباعى ومن جيلهما الى جيل سلامة اختفت اللغة والكلمات والعبارات المتقعرة والقديمة والمعقدة أو خفت ··

فهذا هو تيمور الذى يقول مثلا : « مافى ذلك ريب » و « كانت حياتنا معا موصلة الحلقات ، بيد أنى أؤكد لك على الرغم من ذلك أنك لم تسبرى غور هذه النفس البشرية » و « مكنون صدرى » و « هائل فاجع » و « صه يأمى » و « لم يكن أصلب منى عودا ولا أشد بنية » و « تزداد فى لبوسها الأسود حسنا » و « ذلك خفق أقدام أمهم على الأرض الصلبة ، تتجه نحو الحاصل » ··

وها هو السباعى الذى يقول مثلا : « حتى لاتضل بين الاخاديد

والتجاعيد والوهاد والنجاد » و « وقد تكأكأ فيها حشد من القوم » و « رفع عقيرته بالغناء » و « الثلة العجيبة من الاولياء » و « تراهم بين أكرش منبعج وأعرج وأكتع وأحدب وأعور » و « وكان الناس قد تكأكاوا فى الشوارع حتى لم يبق هناك موطىء لقدم » و « انهال عليه باللوم » و « مرت السنون » و « وقع بصره فجأة على حانوت للعيش » ..

ثم يجىء سلامة فيخفف حدة هذه العبارات وتلك الكلمات وان لم يتخلص منها تماما ، فهو يقول مثلا : « كان كل أمله أن (يحصل) على وظيفة ، وظيفة ثابتة (يحصل) منها على راتب » و « على سبيل الاقتراض » و « هاتوا البرقيات ، هاتوا جرائد اليوم » « لم تعد مقهى .. » . وهكذا .

وهكذا تتعاقب الاجيال الأدبية ، تتفـق فى صـــفات وعلى مواصفات وتختلف فى الوقت نفسه فى الطريق والطريقة ، ليتأكد شىء واحد أو حقيقة واحدة هى أن كل جيل يفيد من الاجيال السابقة عليه فى نواح كثيرة ويتلاشى ويتحاشى العيوب والاخطاء والهنات التى تقع فيها تلك الاجيال السابقة .

هذا ما حاولنا استكشافه وتأكيده فى هذه الدراسة المقارنة المحدودة كنموذج لدراسة أكبر أو دراسات أعمق .

الرواية المغربية ·· من أين والى أين

فى مقدمة كتابه « الرواية المغربية » يقول « عبد الكبير خطيبى » لقد حاولت أن أقدم أهم الروايات المغربية ، تلك التى تعتمد على الرؤية الاجتماعية ، فان مايميز رواية عن أخرى هو ذلك الحس الاجتماعى المرتبط بداهة بالوضع السياسى ·

ونستخلص من مقدمة « عبد الكبير الخطيبى » ظاهرتين على جانب كبير من الأهمية ، الظاهرة الأولى هى أن فئة من المفكرين فى فرنسا كانوا أكثر تفهما وتعاطفا وتحمسا لكتاب الرواية المغربية – ومعظمهم يكتبون بالفرنسية – من غيرهم · على الرغم من هجوم هؤلاء الكتاب الضارى على الحضارة الاوروبية والفرنسية بالذات خاصة بعد نشوب الحرب الجزائرية وعلى الرغم أيضا من تمسك هؤلاء الكتاب بقوميتهم العربية وقيمهم الاجتماعية ودينهم الاسلامى ·· والظاهرة الثانية هى ان كتاب الرواية المغربية استطاعوا ان يثروا الحركة الأدبية الفرنسية وان يسجلوا أسماءهم وأعمالهم فى تاريخ الأدب الفرنسى وأبرز هؤلاء محمد ديب ومولود فرعون ومالك حداد وآسيا جبار وكاتب ياسين ومولود معمرى ومارجريت كاروسا وطاهر بن جلون ··

ولقد صحب تألق هؤلاء الكتاب ظهور عدد من النقاد والدارسين لأدبهم مثل البير ميحى ومصطفى الأشرف وعبد الله لاروى ومحمد رشاد الحمزاوى وعبد الكبير خطيبى نفسه ·· اما فى فرنسا فان أبرز من تصدى لهذا الأدب الوليد اثنان من الدراسين أولهما مدافعا وهو المصرى المقيم فى فرنسا الدكتور « أنور عبد الملك » من خلال

كتابه « الشرقية فى خطر » والثانى مهـــاجما وهو ناقد الفيجارو الفرنسى « روبير كامب » المصدوم دائما فى جرأة الكتاب المغاربة وهجومهم المستمر على الفرنسيين وحضارتهم ·

ولكن لماذا الرواية دون غيرها من أشكال التعبير الأدبية ؟

يقول « عبد الكبير خطيبى » ان الرواية شكل غربى لم يزدهر الا فى القرن التاسع عشر ولم يعرفه العرب الا فى القرن العشرين · ولهذا لا يصبح غريبا أو مستغربا أن يلجأ العرب الذين يكتبون بالفرنسية الى هذا الشكل الراسخ لكى يضمنوه قضاياهم المثارة حتى يحققوا هدفين غاليين أحدهما يرتبط بالشكل حيث تتوفر القيمة الفنية للعمل الأدبى والآخر يرتبط بالانتشار حيث تسهل مهمة القراءة دون اللجوء الى الترجمة والتعرض لضياع المعنى اثناء القيام بعملية النقل من لغة الى أخرى ·

ورغم هذه الاستعارة شكلا ولغة فان بعض الكتاب المغاربة قد حاولوا استحداث أشكال أدبية تساير طموحاتهم الفكرية مثلما فعل كاتب ياسين فى روايته المتميزة « نجمة » ·

فاذا كان كتاب الجزائر قد ظلوا لفترة طويلة يكتبون بالفرنسية نتيجة تأخرهم فى الحصول على الاستقلال وحاجاتهم الى مخاطبة المستعمر بلغته بل وبفنه ، فان كتـــاب المغرب وتونس قد لجأوا مباشرة الى لغتهم العربية وان استعاروا هم ايضا الشكل الفنى الغربى مع محاولة تعريب هذا الشكل وصـــهره فى بوتقة التراث القومى والفلكلور الشعبى المتأصلين فى الشرق الأوسط الممتدين عبر الشمال الافريقى ·

واذا كانت الموضوعات الانسانية الخالدة تنحصر فى الحب والحقد والكراهية فان كتاب شمال افريقيا بصفة عامة قد اضافوا

الى هذه المشاعر الشعور بالثورة وذلك منذ عام ١٩٤٥ على وجه التحديد ٠

واذا كان هؤلاء الكتاب وخاصة الذين كتبوا بالفرنسية قد استهدفوا المستعمر ، فماذا فعلوا بعد استقلال ١٩٦٨ النهائى وماذا هم فاعلون الآن ؟

موقف الرواية المغربية

المعروف ان مصطلح « الرواية المغربية » يطلق على الجزائر وتونس فضلا عن المغرب حتى لا يشاع الاعتقاد بأنه مصطلح خاص بالمغرب وحـــده ٠٠ ففى الجزائر بدأ كل من « لويس برتراند » و « روبير راندوا » بكتابة الرواية المعبرة عن شمال افريقيا باللغة الفرنسية ولكنها كانت محاولات لا تعدو تقليدا لأندريه جيد وهنرى دى مونترلان ٠٠ حتى كتب « عبد القادر حاج حامو » فى عام ١٩٢٦ رواية بالفرنسية بعنوان « زهرة ، زوجة عامل المنجم » التى اقترب فيها من مشاكل مجتمعه وبأسلوب واقعى ، ثم جاء « البيركامو » و « جول روى » وعلى الوجه النقدى « جاك بيرك » ليقلبوا الوضع مسجلين اسماءهم فى تاريخ الأدب الفرنسى وليس الجزائرى مما يدعو الى استثنائهم من بانوراما الرواية المغربية دون استبعادهم من تاريخ الأدب فى شمال افريقيا ٠٠ وبظهور « مولود معمـــرى » وروايته الأولى « الوادى المنسى » التى نشـــرت فى باريس عام ١٩٥٢ يتحدد ميلاد الرواية الجزائرية بصفة خاصة والرواية المغربية بصفة عامة ٠٠ ومع هذا لم يقف معمرى وحده ، فقد أصدر « كداش محفوظ » فى العام التالى أولى رواياته « صوت الشباب » ٠٠ ولم

يتوقف معمرى بعد ذلك فقد أصدر فى عام ١٩٥٦ روايته الثانية « نوم العدل » ٠

وبظهور هاتين الروايتين ولد أول ناقد ودارس للرواية المغربية وهو « مصطفى الأشرف » الذى جاء بمثابة المنظر لهذه الطفرة الأدبية المتألقة ، وكان أهم ما أشاد به فى هذه الروايات الثلاث هو « الضمير الوطنى » و « الصدق الفنى » نظرا للواقعية وتصدير الأمر الواقع بعيدا عن الأمانى والأحلام والهرب الى المستقبل المجهول ٠

وفى المغرب اشترك كل من «سى قدور بن شابريت» و « عبد الخالق اتوريس» و « محمد تازى » فى كتابة المقالات والقصص والانطباعات التى لم تقترب من فن الرواية ولكنها كانت جميعا باللغة العربية ٠ هذا اذا استبعدنا من المجال الروائى شاعر القومية العربية الكبير « محمد علال الفاسى » الذى ظهر جليا فى عام ١٩٢٩ ٠٠ اما « دريس شرابى » فقد هوجم هجوما عنيفا من مثقفى المغرب لمجرد أنه اختار الحياة فى باريس مع ان غالبية الكتاب قد عاشوا هناك زمنا طويلا امتد الى عام التحرير عام ١٩٦٨ ٠٠ الا ان الهجوم ينطوى فى حقيقته على المضمون الميتافيزيقى لروايات شرابى نفسها ، فهو يعترف بأنه ليس مع الاستعمار ويعترف صراحة بأنه ليس ضد الاستعمار ٠ ويعلن عن رغبته فى ان يكون كاتبا انسانيا عالميا وليس كاتبا اجتماعيا محليا ٠٠ وعلى الرغم من عودته الى ينابيعه الأصلية والأصيلة بعد ذلك الا ان الوقت كان قد فات على حد تعبير النقاد المغاربة بصفة عامة ٠

وفى تونس نص دستور ١٩٣٠ على تدريس اللغة العربية واعتبارها اللغة القومية للبلاد ٠ ساعد على تطبيق هذا القرار الوطنى انشاء كليتى الزيتونة وصديقى ٠٠ ولهذا برز الشاعر الكبير

«ابو القاسم الشابى» على المستوى العربى وقدم «على الدواوجى» اول رواية تونسية باللغة العربية عام ١٩٣٥ ·· وارتبط الأدب بالسياسة فى تونس وساد المصطلح الفنى الجديد للرواية النفسية الاجتماعية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وان تأثر كتاب المنطقة العربية فضلا عن تونس بكل من بروست وكافكا وجويس ·

وقد مرت الرواية المغربية بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٣ :

وهى المرحلة التى اعتمدت على الوصف التحليلـــى للحياة اليومية من ناحية وتمجيد البطولات التاريخية المستمدة من التراث الشعبى من ناحية أخرى · ففى الوقت الذى تفشت فيه ظاهرة الرواية البوليسية وخاصة فى أوروبا وجنوب امريكا لجأ كتاب شمال افريقيا الى الف ليلة وليلة · ليؤكدوا على دور المغامرات المعتمدة على الحيلة والشجاعة والفداء فى تراثهم القومى ·· وابرز اعلام هذه المرحلة الأولى مولود فرعون وموليـــود معمرى ومحمد ديب (فى اعماله الأولى) ·

والمرحلة الثانية من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٨ :

وهى المرحلة التى اســـتهدفت تغريب الثقافة الاوروبية اى جعلها ثقافة مغربية عربية خالصة ، فى الوقت الذى سادت فيــه فكرة الخلاص والبحث عن الذات دون الالتفات الى تجارب الآخرين عملا بالحكمة القائلة بأن لكل شعب ظروفه وشخصيته وسيرته ·· وابرز اعلام هذه المرحلة الثانية البير ميحى (من خلال روايته تمثال الملح) ودريس شرابى (من خلال روايته الماضى البسيط) وكاتب ياسين (من خلال روايته نجمة) ·

والمرحلة الثالثة من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٢ :

وهى مرحلة الأدب الداعى الى الاستقلال المنصب أساسا على الحزب الجزائرية بمعنى ان الالتزام بالوطن وبقضاياه هو الاساس بغض النظر عن اللغة التى يعبر بها الكاتب عن هذا الالتزام ٠٠ بل أدى هذا الازدواج الى كشف المستعمر لمجرد ضمان وصول هذه الصيحات اليه والى من يقرأون لغته لجهلهم بلغة الوطن المكافح ٠٠ وأبرز اعلام هذه المرحلة الثالثة آسيا جبار ومالك حداد ومحمد ديب (فى اعماله الأخيرة) ٠

ولعل مرحلة رابعة لاتزال فى دور التكوين لأنها مرحلة الهدوء والتقاط الانفاس تلك التى تلت الاستقلال النهائى وأخذت تصفى الصراعات الداخلية وتعمل على البناء الوطنى وتتطلع الى مستقبل أفضل ، ولهذا تناقص عدد الروايات من ناحية ولم تلمع أسـماء جديدة فى سماء الرواية المغربية على الاطلاق ٠

فنون الرواية المغربية

من خلال جدول بيانى مبسط يتضح ان عدد الروايات التى كتبت بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٦٢ (أى على مدى ١٨ عاما) لم يزد عن ٤١ رواية ، ٣٤ منها باللغة الفرنسية و ٧ فقط باللغة العربية موزعة على المغرب وتونس دون الجزائر ٠

ومن هذا الجدول ايضا يتضح ان عدد النسخ يتراوح بين ١٥٠٠ الى ١٥ الف نسخة ، لم يهتم بنشر طبعات شعبية منها غير « غمانويل روبليس » الجزائرى الأصل الذى خصص للأدب المغربى طبعة اسماها « ميديترانيه » ٠

ومن هذا الجدول نتبين ان الروائيين المغربيين لم يزد عددهم على ٢١ روائيا ١٣ منهم يعملون بالصحافة والتعليم واثنان يعملان بالوظائف الحكومية واثنان يعملان بالمهن المختلفة وأربعة متفرغون للكتابة ٠

فاذا كان الروائيون الذين يكتبون بالفرنسية قد تأثروا بأدباء أوروبا والفرنسيين منهم بصفة خاصة فان الروائيين الذين يكتبون بالعربية على قلتهم قد تأثروا بالادباء العرب والمصريين منهم بصفة خاصة ٠٠ ومع هذا فان عددا من كتاب اللغة الفرنسية لجأوا الى الإعمال العربية المترجمة لكبار الكتاب مثل طه حسـين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستطاعوا ان يمزجوا بين تأثرهم الغربي ومحاولة التأصيل العربية ، ولهذا فان كانت الرواية المغربية قد كتبت باللغة الفرنسية الا ان الروح نفسها ظلت عربية بل ومحلية جدا في بعض الاحيان ٠

وفى الوقت الذى لم يعان فيه كتاب اللغة الفرنسية من مشكلة بين اللغة الرفيعة واللغة العادية وهو فارق نوعى يتصل بالأسلوب أكثر من اتصاله باللغة نفسها ، فان كتاب العربية قد واجهوا مشكلة ازدواج اللغة ، فهم يكتبون مثلما يتكلمون مع فارق بسيط هو الفارق الكبير بين لغـة الكتابة ولغـة الكلام أو بين الفصـحى والعامية فمنهم من التزم بلغة « القرآن الكريم » نصا وروحا ومنهم من لجأ الى الفصحى الحديثة ان صح التعبير ، ومنهم من كتب فصحى الجرائد والمجلات ، وقليلون هم الذين جرأوا على استخدام العامية وان لم يكن استخداما كاملا ، فقد قصرروا استخدامها على الحوار ، أما السرد فقد ظل يكتب بالفصحى وان كانت هى الفصحى المخففة ٠٠ وهذه المشكلة لا تقتصر على كتاب الرواية المغربية ولكنها تمتد الى الوطن العربى كله وخاصة بعد فشل المحاولة التى بدأها « توفيق الحكيم » وأطلق عليها مصطلح « اللغة الثالثة » ٠

تنقسم الرواية المغربية الى خمسة انواع متميزة ٠٠ أولها ٠٠ « الرواية الشعبية » وهى الرواية التى تهتم بوصف الحياة اليومية مع التركيز على العادات والتقاليد المتوارثة والمكتسبة ٠٠ وثانيها « الرواية التاريخية » وهى الرواية التى تستهدف البطولات المعاصرة بالرجوع الى البطولات التاريخية٠٠وثالثها «الرواية السيكولوجية» وهى الرواية التى تنفذ الى الحياة الداخلية للناس ٠٠ ورابعها « الرواية الواقعية » وهى الرواية الاجتماعية التى ترسم صورة مكبرة للحياة الاجتماعية وظروف هذه الحياة ٠٠ وخامسها « الرواية الرمزية » وهى الرواية التى تلجأ الى الرمز والتلميح خشية المواجهة والتصريح وخاصة فى زمن الاحتلال والحرب ٠

أما الشكل فاما أنه يميل الى الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية أو الاعترافات واما أنه يتعرض لحياة الآخرين ٠٠ وقد استخدم الشكل الأول ضمير المتكلم احيانا والضمير الثالث احيانا أخرى ٠ بينما اتخذ الشكل الثانى أسلوب السرد والحوار ٠٠ الشكل الأول وان كان ذاتى النزعة الا أن كاتبه كان يتخذ من نفسه نموذجـــا لمواطنيه ومقياسا لظروف الحياة اما الشكل الثانى فهو جماعى النزعة بالضرورة وان لم يكن كاتبه ملتزما دائما ٠ فهو يتأرجح بين العمل على اثارة القضايا الكبرى والمصيرية والرغبة فى الكشف عن السلبيات الشخصية أو الجماعية لمحاولة تفاديها وعلاجها من اجل مجتمع أفضل وحياة أكرم ٠

الا ان الظاهرة الصحية والطيبة وسـط كل هذه الأشـكال والأساليب والمواصفات والأهداف هى ان ذلك الأدب الروائى منذ

مولده وحتى اشتداد عوده مرورا بأعقد الأزمات وأروع الاختبارات لم يكن أدبا موجها أو دعائيا بل كان أدبا انسانيا بأصدق المعانى وأشرف النوايا والغايات ·

ولا يعنى ذلك أن كل كتاب الرواية المغربية قد حافظوا على هذا الاطار وتلك المضامين فقد لجأ البعض الى ما يسمى بالفن للفن دون الالتفات الى القضايا المصيرية الملحة والمشاكل الاجتماعية المثارة · فكان مصيرهم النقد والانتقاد وكان مصير اعمالهم الفشل والاهمال ·· فالتونسى « على الدواجى » حاول مقلدا المصرى « عبد القادر المازنى » استخدام الأسلوب الساخر فى كتاباته العربية فضلا عن اختياره لأدب الرحلات ، فقد طاف بموانى البحر المتوسط وعواصم أوروبا ـ والمغربى « دريس شرابى » حاول اكتشاف المجهول أو الميتافيزيقا رغم تخصصه فى الكيمياء مدعيا انه يقترب بذلك من الانسان فى كل زمان ومكان دون ان يضطر الى حصر نفسه فى انسان اوروبا المستعمر أو انسان المغرب المستعمر ·· ولكنه عاد بعد الهجوم العنيف على نظرته ونظريته الى المشاركة فى أحزان وطنه والعمل على التخلص والخلاص ·

وهكذا لم تفلح ولم تنجح أساليب معروفة ومنتشرة فى العالم أجمع أبرزها كما رأينا « الاسلوب الساخر » و « الميتافيزيقا » لأن الظروف لم تكن ملائمة والحاجة الى أدب ملتزم كانت ملحة وان لم يتم ذلك بالتوجيه رغم ما حدث من ضـــغط على بعض الكتاب لتصحيح مسارهم وتهديف مسيرتهم ·

ولعل « جان حمروش » هو نموذج لكتاب جيل المعاناة الذين عبروا عن الغربة سواء خارج أوطانهم أو داخلها ·

كان على الكتاب المغاربة أن يحددوا دورهم الرائد منذ البداية ولكنهم سرعان ما صدموا بالتيارات المختلفة والتى يزدحم بها تاريخ الأدب العالمى أو الأدبين المغربى والعربى على أقـــل تقدير لأنهما الأقرب اليهم ٠

فاذا كانت الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة والواقع هى المصدر الغربى المرفوض فان الرومانسية وهى المصدر العربى بقيادة جبران خليل جبران والمنفلوطى ونعيمة والشابى ومحمود تيمور تعد هى الأخرى مرفوضة ٠٠ اما المفروض فهو الذى حسم الصراع خفا ، وذلك نتيجة للعوامل الخارجية ٠٠ فالمستعمر جاثم على صدر الأمة وثقافته المزيفة تستهدف روح هذه الأمة وضميرها ٠٠ ولهذا وقع الحمل الأكبر على كاهل هؤلاء الرواد الجدد أو الرواد الشباب برغم طراوة كواهلهم وضعف بصائرهم وبصيرتهم ٠٠ تلك الكواهل التى ما لبثت أن اشتد عودها وتلك البصائر والابصار التى قويت رؤيتها بفضل الخبرة والممارسة برغم العزلة ورغم الأزمة وفى قلب ضراوة الاحداث ٠

يقول ميخائيل نعيمة « الكاتب هو فى الحقيقة فيلسوف ، فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويقول مالا يقدر الآخرون على قوله » ويرى محمود تيمور ان الكاتب « مرآة المجتمع والناس فهو يعكس ما يرونه ويعبر عما يجيش بصدورهم وأفئدتهم » ٠

وعلى هذا لا يمكن القول بأن الأدب المغربى أو الرواية المغربية قد أشعلت النضال ولكنها قد مهدت لهذا النضال بكل تاكيد ، ونعنى به نضال الجزائر الذى كان آخر معول ينزل على جدار الاستعمار

ليمحو الهزيمة والعار عبر التاريخ الطويل الممتد والمتمدد أيضا ٠٠ وباتت كلمات الغضب والازدراء والدم والمقاومة من ابرز ما ورد فى قاموس هؤلاء الكتاب ٠

رواد الرواية المغربية

يشترك رواد الرواية المغربية فى صفات كثيرة كتلك التى ذكرناها حتى الآن ، رغم انتمائهم الى ثلاثة أوطان عربية متاخمة الحدود ٠ ولكن لكل منهم صفاته الخاصة بحيث يتميز أدبه سواء على مستوى الرواية المغربية أو على خريطة الأدب الروائى فى العالم كله ٠٠ وكما تمثل المرأة العربية فى عصرنا الحديث فى كافة المجالات والأنشطة الانسانية والاجتماعية نراها وقد مثلت فى عالم الرواية المغربية خير تمثيل ٠

مولود فرعون :

ولد بمدينة تيزى ـ هيبال الجزائرية عام ١٩١٣ لأب فلاح غير مهنته فى فرنسا الى عامل ٠ درس مولود بمدرسة المعلمين وتدرج فى مهنة التدريس حتى أصبح مديرا لمدرسة الجزائر ٠٠ ساهم بالكتابة فى العديد من المجلات العربية والفرنسية ، اصدر روايات « ابن الفقير » ١٩٥٠ « الأرض والدم » ١٩٥٤ « الطرق الصاعدة » ١٩٥٧ ٠٠ وأصدر « المذكرات » عام ١٩٦٢ ٠٠ قتل فى ١٦ مارس ١٩٦٢ فى فجر معركة الاستقلال ٠

اما الرواية الأولى فهى عبارة عن ترجمة ذاتية تحكى حياة مولود طفلا فى القرية ثم شابا يعانى الفقر والهوان مثل سائر ابناء

شعبه ثم رجلا يشق طريقه بالكفاح والعرق حتى يصل الى منصب متواضع ولكنه كبير بالنسبة لابناء جيله المقهورين والمحرومين من الزاد العلمى والثقافى على السواء ٠

وتجىء روايته الثانية لتحرك الشخصيات الساكنة وتفجر فيهم المشاعر الجامدة فقد تعلموا الكراهية كما تعلموا الحب وتعلموا السخرية كما تعلموا العطف والحنو والتسامح ٠٠ وبينما كانت الرواية الأولى ترجمة حياة جاءت الرواية الثانية سيرة حياة ، سيرة عامل بسيط يعود الى قريته بعد خمسة عشر عاما قضاها فى المهجر فى فرنسا بلد الاعداء وتزوج من فتاة فرنسية سرعان ما يضيق بها عند العودة ، فقد التقى بمحبوبته القديمة ابنة بلده ، ويظل يعانى من هذا التمزق فيندفع نحو الانتحار كحل للخروج من الازمة ٠

وتكمل الرواية الثالثة أحداث الرواية الثـــانية فبطلها هو ابن العامل المنتحر الذى ينتحر هو الآخر فى نهـــاية الأمر نتيجة للحصار المفروض حوله خاصة بعد أن عاش أربع سنوات فى بلد أمه الفرنسية وعاد ليقع فى حب ابنة عمه التى يســـتدرجها أحد الضباط الفرنسيين فلا تملك الا ان تصارح ابن عمها بالحقيقة المرة ، والتى تؤدى الى انتحار الفتى مثلما فعل أبوه ، وكأن الانتحـــار وراثى فى هذه العائلة المنكوبة ٠

ولكن مولود فرعون لا يقف عند سرد الأحداث بطريقة واقعية ولكنه يتوقف عند وصف الحياة اليومية لأبناء القرية بالاضافة الى اللعب بالرمز من خلال أسلوب يتميز بالحرارة والدفء ولا يخلو من الأمل وان امتلأ باليأس والأحزان ٠

مولود معمرى :

ولد عام ١٩١٧ بمدينة تارويت بالقرب من زميله مولود فرعون

بالجزائر ، ودرس بالمدارس الجزائرية والمغربية والفرنسية ثم عمل مدرسا حتى وصل الى منصب استاذ الدراســـات الأدبية بجامعة الجزائر ٠٠ له ثلاث روايات « الوادى المنسى » ١٩٥٢ ، « نـــوم العدل » ١٩٥٥ « الافيون والعصا » ١٩٦٥ ٠

الرواية الأولى تدور أحداثها فى احدى قرى الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ بالتحديد وابطال الرواية ينقسمون الى فريقين أولهما من اتباع الوالى يعيشون على الخمر والرقص وثانيهما ابناء الفلاحين يتمرغون فى الأرض والفقر ، ويستدعى الجميع للمشاركة فى الحرب ، فيودع كل منهم أقاربه ومعارفه حتى يتوقف الكاتب عند واحد من الفريق الأول وآخـر من الفريق الثانى يودع كل منهما حبيبته ليصور لنا مشاعر كل فريق أو كل طبقة ومدى استعداده للتضحية والفداء أو التراجع وحـب الذات ٠

اما فى الرواية الثانية فيحاول معمرى أن يدفع بأبطاله الى ساحة الفداء بشىء من الالتزام ذلك أن الحرب ليست حربا غريبة ولكنها حرب الوطن ، فقد انقلب الأمر وأصبح المواطن الجزائرى مدافعا عن أرضه وليس عن أرض غيره ٠٠ ومع هذا فالحرب لـم تحقق الاستقلال بعد وكل شىء لا يزال مختلفا ، الخير والشر ، العدل والظلم ، النظام والفوضى ، البطولة والخيانة حتى ان نهاية البطل كانت السجن ونهاية شقيقته النفى ونهاية شقيقه الموت ٠

ونصل الى رواية معمرى الثالثة فنجد ان نبرة اليأس قـد بدأت تنتشر فى عباراته فالحرب طالت والموت والفساد تفشى والظلم تسيد ٠

ويقرر مولود معمرى ان يركن الى الصمت حتى تنتهى المعارك الأليمة ليسجل فى هدوء تاريخ المليون شهيد ٠

محمــــد ديب :

ولد بمدينة تلمسان بالجزائر عام ١٩٢٠ ، عمل بعد دراسته الثانوية صانع سجاد ثم مدرسا بالابتدائى ثم صـــحفيا ٠٠ كتب روايات «البيت الكبير» ١٩٥٢ ٠٠ «الحريق» ١٩٥٤ ، «مهنة النسيج» ١٩٥٧ ، « من ذا الذى يتذكر البحر » ١٩٦٢ ، هذا فيما عـــدا مجموعات من القصص القصيرة والآشعار فضلا عن مسرحية واحدة وسيناريو فيلم واحد ٠

منذ الوهلة الأولى نشم رائحة « بلزاك » فى اعمال محمد ديب الذى يعد واحدا من ابرز الكتاب الجماهيريين فهو يصور حياة الناس اليومية مبينا أن هؤلاء لا يركنون الى حياتهم القائمة ولا يرجعون داخل سجنهم الكبير ولكنهم يتحركون من أجل الخلاص بأى شكل وبأى ثمن وهو لهذا يناقش الأوضاع الطبقية لأبناء الشعب الواحد والضـــمير الوطنـــى داخـــل كل واحـــد من أبنـــاء هذا الوطن المحارب والمحارب معا ٠

فبطل الرواية الأولى ممزق الاحساس والارادة فهو لا يعرف الفرق بين غنى وفقير بين فرنسى ومسلم ، فقد تلقى فى مدرسته تعاليم خاطئة ومضللة ، وعندما يخرج الى الحياة العملية يكتشف أن كل شىء مختلف وأن النظرية غير التطبيق وأنه معدم مثل مواطنيه وأن حياته عدم مثل وطنه ٠ فيثور ولكن محاولاته تبوء بالفشل ، فلا يكف عن تصحيح المعلومات للصغار ، ويستسلم لهذا الدور التربوى فلا يزال النضال على الأبواب ٠

وقد عالج « محمد ديب » أدبه بشىء من التجديد متأثرا الى حد كبير بكتاب الرواية الجديدة فى فرنســـا ، فهو وان كان يلتزم بالواقعية الشديدة الا أنه يضع الأشياء فى مكانة لا تقل عن الانسان ويجعل من الزمن عنصرا فعالا ومن الطبيعة اطارا هاما وهو يمزج

فضلا عن هذا كله الواقع بالخيال والحقيقة بالرمز والصور الشعرية بالمواقف اليومية حتى الحرب لم يشأ أن يصفها وصفا تطبيقيا فقد لجأ مثلما فعل بيكاسو فى لوحته الشهيرة « جرنيكا » الى أسلوب الايحاء والتركيز واختيار الجزء للاشارة الى الكل ، وكأنه يجمع بين الاسطورة والتاريخ أو بين الماضى والحاضر فى وقت واحد ومكان واحد ورؤية واحدة ٠

مالك حداد :

ولد بقسطنطينة عام ١٩٢٧ ودرس بها ثم التحق بحقوق اكس اون بروفونس ولكنه هجرها الى الكتابة الصحفية فى فرنسا والجزائر ٠٠ اصدر ديوانين من الشعر وأربع روايات ٠٠ « الانطباع الأخير » ١٩٥٦ ، « سأمنحك وردة » ١٩٥٩ ، « التلميذ والدرس » ١٩٦٠ ، « الرصيف الوردى لا يجيب أبدا » ١٩٦١ ٠

اما روايات مالك حداد فهى « حلم الحلم » على حد تعبيره ، وهى «حياة الحياة» على حد تعبير « عبد الكبير خطيبى » ٠٠ فهو يكرر الملامح العامة التى تشكل أعماله الروائية وهى الوطن والمنفى والسعادة والالتزام ٠٠ فى الرواية مثلا نجد ان المهندس الجزائرى يهدم بنفسه الكوبرى الذى بناه بنفسه ، وفى الرواية الثانية لايريد الطبيب الجزائرى ان يعترف بالجيل الجديد من الأطباء فيصر على اجراء عملية ولادة لابنته فيقضى على حياتها بنفسه ، وفى الرواية الثالثة يظل الكاتب الجزائرى غارقا فى أوهامه الثقافية بعيدا عن أحداث وطنه حتى تصيبه رصاصات الأعداء فيخر صريعا ٠

وهكذا نجد ان كل شخصيات مالك حداد شخصيات باهتة ومسطحة وغير واقعية بمعنى انها لا تعيش فى الواقع ولكنها تدفع الثمن حياتها أو حياة المقربين ٠٠ ومع هذا يؤكد « حداد » دائما

على النضال ولو من خلال شخصية ثانوية فى كل رواية من رواياته الأربع ٠

كاتب ياسين :

ولد بمدينة قسطنطينة عام ١٩٢٩ ودرس بكلية «سيتيف» وقبض عليه فى حركة ٨ مايو ١٩٤٥ ٠٠ ثم عمل بجريدة الجزائر ورحل الى الشرق الأوسط وأوروبا ثم استقر بباريس ٠٠ كتب المسرحية والقصة والشعر والرواية ٠٠ وابرز رواياته « نجمة » ١٩٥٦ ، « المربع المرصع بالنجوم » ١٩٦٦ ٠

وقد كان « كاتب ياسين » هو الوحيد من بين الكتاب المغاربة الذى استقبل استقبالا نقديا حافلا ، لا لأنه كاتب عربى يكتب بالفرنسية عن وطنه الذى يعيش ظروفا عصيبة ، ولكن لأنه كاتب وشاعر تفوق على معاصريه من الامريكيين ٠٠ على حد تعبير موريس نادو ٠٠ واقترب كثيرا من رامبو–على حد تعبير كلود روى – واستطاع ان يتفوق فى النثر والشعر معا وان يخلق لادبه شخصية مستقلة متميزة ٠٠ وفضلا عن كل هذا تمكن كاتب ياسين من تجديد شباب الرواية المغربية فقد أدرك ان المضمون القوى قد يفقد تأثيره بزوال الاحداث المؤثرة اما الشكل الفنى المتميز فهو الذى يبقى وتبقى جاذبيته ٠

و « نجمة » زوجة كمال يحبها أربعة اصدقاء يعيشون معا فى بون ٠ أما نجمة فهى ابنة سيدة فرنسية كانت لها علاقة بوالد أحد هؤلاء الأربعة ٠٠ ويقتل الأب ويشاع ان قاتله هو غريمه فى حب أم نجمة ويلتقى الابن بقاتل ابيه طالبا منه معرفة حقيقة نجمة فى مقابل اطلاق سراحه ، فهل هى ابنة أبيه القتيل أم أنها ابنة القاتل ؟ وتكون المفاجأة عندما يصرح القاتل بأنه والد زوج نجمة وقد يكون هو أيضا والد نجمة ٠

ويرى باشلار ان كاتب ياسين « يمزج الواقع بالخيال ليخلق احداثا غريبة لا تقل غرابة عما يحدث فى وطنه مركزا على اختلاط الاجناس وما يجره هذا الاختلاط من مشاكل فضلا عن ضياع كل جنس فى الجنس الآخر مما يزيد من الازمة وليس العكس كما قد يظن اساتذة الاجناس والاجتماع ·· فنجمة بطبيعة الحال هـــى الجزائر ، هى المرأة المرغوبة والضحية فى الوقت نفسه ، وهى الوطن المحتل والمنهار معا » ··

اما أسلوب « كاتب ياسين » فهو ذلك الاسلوب الذى يرتفــع بالنثر الى مرتبة الشعر والذى يحلق بالشعر حتى يبدو وكأنه نثر ·· فلا فرق عنده بين النثر والشعر ، كلاهما شفاف وكلاهما نغم وكلاهما حياة ·· كذلك تبدو القصيدة وكأنها رواية والرواية كأنها مسرحية والمسرحية كأنها قصة وهكذا فلا فواصل عنده ولا حدود بين أنواع العمل الفنى لأنه يقدم فى النهاية عملا فنيا ·

آسيا جبـــار :

ولدت بالجزائر عام ١٩٣٦ ودرست بالمدارس الثانوية وحصلت على منحة بالمدرسة العليا بباريس وعينت معيدة بجامعة الرباط ثم أستاذة بها ·

اصدرت ثلاث روايات « العطش » ١٩٥٧ ، « النافذ والصبر » ١٩٥٨ ·· « اطفال العالم الجديد » ١٩٦٢ ··

وتقارن أولى روايات « اسيا جبار » دائما برواية فرنسواز ساجان « صباح الخير ايها الحزن » كما تقارن بروايات ليلـــى بعلبكى ·· فشخصيات « العطش » يموتون من الحب والرغبة فى ظروف غامضة ·· ولكن الفرق بين ساجان أو بعلبكى وبين آسيا جبار هو ان الكاتبة الجزائرية تعنى وطنها قبل كل شىء ولا تقف

بسذاجة عند جسد المرأة ورغبتها كما تصور بعض النقاد فهاجموها هجوما عنيفا ٠٠ ولهذا حاولت فى روايتها الثانية أن تكشف عن حجاب رموزها ٠

وهنا تنبه النقد الى فكر « اسيا جبار » وطريقتها الخاصة فى صياغة الرمز ، لأنها تكره المباشرة والواقعية كما تكره الخيـــال والميتافيزيقا أيضا ٠٠ ولهذا جاءت روايتها الثالثة التى كتبتها فى منفاها بالمغرب اثناء اشتداد المعارك صورة حية من خلال نماذج عديدة للمرأة الجزائرية ودورها الفعال فى حرب الاستقلال ٠

والى جانب هؤلاء لا يمكن للدارس للرواية المغربية والراصد لحركتها أن ينسى « عبد القادر بك هاشـــمى » و « عبد المجيد بن جاللون » و « مراد بوربون » و « جميلة ديباشا » و « خايف البشير » و « هنرى كربياه » و « محمود المسعدى » و « مالك عوارى » و «محمد الصباغ » و « احمد سفريوى » و « مارجريت حمروش طاووس » ٠

فهم جميعا قد ساهموا مساهمة فعالة فى ايجاد تيار جديـد فرض نفسه على تاريخ الأدب العالمى ، هذا التيار اسمه « الرواية المغربية » ٠٠ تلك الرواية التى حاولت أن تخرج من سجنها على مدى ثمانية عشر عاما من الكفاح وسنوات طويلة أيضا فى أعقاب الاستقلال ٠

ولكن قدرها أنها ولدت مناضلة لتظل كذلك ٠٠ فوجودها أصله اجتماعى ودورها ليس أكثر من دور تاريخى على أهميته وخطواته ٠

ومن هنا بقاء كاتب مثل « كاتب ياسين » دون غيره من كتاب الرواية المغربية ٠٠ لأنه استطاع أن يحافظ على التوازن وأن يجمع المعادلة الصعبة ، فلم يفقد أدبه روح النضال التى تمنحه جواز السفر الى التاريخ أو وصف الحياة اليومية الذى يعطيه حق الاقامة داخل المجتمع ، فى الوقت الذى يحصل فيه على تأشيرة خروج الى

العالم الرحب الفسيح من خلال شاعريته ومن خلال ربط الأسطورة بالواقع للتحليق فى المجال الجوى الانسانى والعبور بموانىء العصور الممتدة فى البحر اللانهائى ، بحر الأدب الرفيع ٠٠

والغريب بعد ذلك أن معظم كتاب الرواية المغربية قد وجدوا أنفسهم بلا دور بعد الاستقلال ، فأقاموا اقامة كاملة بباريس « محيى ديب ، كربياه شرابى » وحاولوا كتابة مايسمى بالرواية العلمية ٠ أو اهتموا بتدريس الأدب مع تخصيص مادة كاملة لتاريخ الرواية المغربية كما يفعل معمرى وآسيا جبار ٠٠ أو تركوا العمل الأدبى واتجهوا الى العمل السياسى والدبلوماسى مثل المســـعدى ٠٠ أو اســـتمروا فى العمل الصـــحفى بعيدا عن الابداع مثل الأشـــرف وبوربون ثم بن جلون الذى بدأ انتاجه المتميز فى الظهور وخاصة بعد فوزه بجائزة الجونكور ٠٠

ولكن جيلا جديدا يتهيأ لحمل الراية التى لا يزال يمسك بها ويرفعها عاليا « كاتب ياسين » وخاصة بعد أن جرب الكتابة باللغة العربية وحقق نجاحا كبيرا ٠

فالرواية المغربية التى ولدت ناضجة وفتية لا يمكن أن تموت بالنصر أو تموت من النصر ٠٠ فالنصر حياة جديدة وميلاد جديد قادر على تجديد الشباب ، شباب « الرواية المغربية » ٠

قد يظن القارىء ان الأدب السودانى توقف عند شـــعراء السودان الأوائل « التيجانى يوسف بشير » و «محمد احمد محجوب» و « محمد المهدى المجذوب » ثم « محيى الدين صابر » و « جيلى عبد الرحمن » و « سيد الحردك » .. وكاتبه الروائى الشهير « الطيب صالح » .

ولكن الحقيقة تكشف عن شخصيات أدبية وفنية لها وزنها فى الحركة الثقافية السودانية بخاصة وحركة الثقافة الافريقية بشكل عام .. ففى ختام المهرجان الثقافى برز عدد من الشخصيات الأدبية والفنية فى طليعتها :

د . مكى شبيكة

اسهم فى كتابة تاريخ السودان وفى تحقيق تاريخ وادى النيل بشكل عام .. وتحمل مؤلفاته الأخرى التى تتناول هذا الموضوع الحيوى الهام ، وجهة نظر لها أثرها فى أحـــداث المنطقة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة من الناحية الجغرافية .. وهو لهذا يعد الرائد الأول فى مجال العلوم التاريخية الحديثة فى السودان .

د . عون الشريف قاسم

من الشخصيات البارزة فى المؤتمرات الاقليمية والدولية،ورغم أنه يعمل بالتدريس الا أنه ينكب على العديد من المؤلفات التى تناقش فى أطار عصرى علاقة الدين بالحياة وعلاقة التراث ببناء الشخصية

الحضارية ٠٠ وهو من أشد الرافضين للاستعمار بشتى صوره ليس فقط على أرض السوادن ولكن فى جسم الأمة العربية جملة وتفصيلا ٠٠ ولا يقتصر اسهام الدكتور عون على الدراسات الاكاديمية الجادة أو المؤتمرات العلمية ولكنه يكتب أيضـــا فى الصـــحف والمجلات السودانية والأجنبية على السواء ٠

عبد الله الطيب

شاعر وناقد وكاتب مسرحى ٠٠ ومثلما يكتب بلغته العربية يكتب ايضا باللغة الانجليزية٠٠وقد لعب دورا بارزا فى اثراء حركة الترجمة وارساء قواعدها والتاكيد على اهميتها سواء فى التعريف بالحضارة الأجنبية للافادة منها أو بتعريف الأجانب بالفكر السودانى ليحدث هذا التفاعل الحى بين ثقافات العالم المختلفة وخاصة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث النامية ٠

نجم الدين محمد شريف ٠

من ابرز الأثريين العرب ، فقد عمل أكثر من خمسة عشر عاما فى انقاذ اثار النوبة وفى انشاء متحف السودان القومى ٠٠ وله مؤلفات عن عالم الآثار ، نال بعضـــها تقدير المؤتمرات الأثـــرية العالمية ٠٠ وقد عهد اليه بالبحث فى عناصـــر الوحدة من حيث التاريخ والآثار والعلوم الانسانية الأخرى ، فنجح فى تقديم النظريات الحيوية التى تؤكد قيام هذه الوحدة الأصلية ، وحدة وادى النيل ٠

أحمد محمد شبرين

أحد الذين أسسوا مدرسة الخرطوم للفنون التشكيلية ٠٠ أقام الى جانب التدريس اثنى عشر معرضا خاصا فى السودان وخارج السودان ، كما شـــارك فى المعارض الجماعية المحلية والعالمية ،

ليتأكد اتجاهه الخاص فى الخطوط وتطويرها ٠٠ ولا يقف عند حدود الابداع الفنى ولكنه يبدع فى مقالاته النقدية وأبحاثه فى الصـحف والمجلات السودانية والعالمية ٠٠ وله أيضا مؤلفات خاصة ٠٠ كذلك امتد نشاطه الى تعميم الأوسمة والنياشين والخرائط والمبانى ٠

د ٠ فرنسيس دينق

عالج العديد من القضايا المصيرية مبينا تلك الفجوة العميقة بين الشمال والجنوب والتى طالما استغلها الاستعمار ليفرق دائما بين قطبى الوحدة التاريخية والجغرافية وقد استند فى تحاليله الى الموروث الشعبى الذى يؤكد ان السودان جزء لا يتجزأ من الوطن الأفريقى الكبير وأنه الامتداد الطبيعـى لمصـر درة أفريقيا وأم الحضارات ٠

خالد أبو الروس

عرف بلقب « أبو المسرح السودانى » فهو أول من كتب للمسرح بلغة السودان الشعبية ومن أشهر مسرحياته «مصرع محلق وتاجوج» عام ١٩٣٢ و « خراب سوريا » عام ١٩٣٣ ٠٠ وهو أول من كتب المونولوج السودانى عام ١٩٣٤ ٠٠ ولم يكتف بذلك فساهم بآرائه النقدية فى الصحف السودانية على مدى عشر سنوات ، وعلى مدى خمسة وأربعين عاما ظل يعمل وحتى الآن بالتدريس موجها تربويا وثقافيا بوزارة التربية ٠

شرحبيل أحمد

اطلق عليه لقب « ملك الجاز » بعد أن أدخل الآلات الموسيقية الغربية جنبا الى جنب مع الآلات الشرقية الصميمة من ناحية والآلات الافريقية التقليدية من ناحية أخـرى لتصـاحب الأغنية السوادنية

الحديثة التى لا تنعزل عن جذورها الحانا وكلمات ، وهو بعد هذا عازف جيتار موهوب وصوت دافىء معبر عن الاحاسيس السوادنية الصـادقة وقد مثل السـودان فى مهرجانات عالمية للأغنية الخفيفة والأغنية الشعبية على السواء ·

سعدية الصلحى

أوقفت حياتها واهتماماتها على دراسة تاريخ الأزياء وتطوير فنونها ، ولم تقف عند الأزياء السودانية فحسب بل امتد اهتمامها الى دراسة وتطوير الازياء الافريقية ·· ولذلك اختيرت للاشراف على لجنة مهرجان لاجوس للفنون الافريقية والسودان ، كما شاركت فى معرض اثيوبيا ثم معرض طرابلس فضلا عن معارض دولية كثيرة ·· وتعد أول مصممة لأزياء فرقة الفنون الشعبية السودانية ·

هل هى ثورة ٠٠ فى عالم الكتب

نظرا لأهمية الكلمة المكتوبة فى تقدم الحضـــارة الانسانية ، ونظرا لأهمية الدور الذى تلعبه الكتب فى تطوير الحياة الاجتماعية ، اتخذ المؤتمر العام لليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) فى دورته السادسة عشرة (نوفمبر ٧٠) من عام ١٩٧٢ « عاما دوليا للكتاب » جاعلا شعاره « كتب للجميع » ٠

وقد عقدت من أجل النهوض بالكتاب اجتماعات ثلاثة فى آسيا (طوكيو ٦٦) وافريقيا (اكرا ٦٨) وامريكا اللاتينية (بوجوتا ٦٩) اضيف اليها اجتماع رابع للبلاد العربية عقد بالقاهرة وحضره خبراء من (١٤) دولة عربية ومراقبون من الاتحاد السوفيتى وانجلترا والهند وممثلون لست هيئات تابعة للامم المتحدة فضـــلا عن المدير المساعد للعلاقات باليونسكو « البرتواوبليجادو » وقد اختير الدكتور محمود الشنيطى (من مصر) رئيسا للاجتماع كما اختير عبد القادر بن شيخ (من تونس) واحمد سعد الجاسر (الكويت) وعبد الأمير معلى (العراق) وبهيج عثمان (لبنان) نوابا للرئيس ٠

ووافق « الاجتماع » فى بداية جلساته على « ميثاق الكتاب » المعلن ببروكسل (فى ٢٢ اكتوبر ٧١) ببنوده العشرة التى تؤكد على ان :

(١) كل فرد له حق القراءة (٢) الكتب ضرورة لا غنى عنها (٣) من واجب المجتمع ان يخلق الظروف لايجاد النشاط الخلاق للكتب (٤) التنمية القومية تستوجب صناعة سليمة للنشر (٥) تطوير

النشر يستلزم تهيئة الظروف لصناعة الكتب (٦) المكتبات تعد اداة ربط بين الناشرين والقراء (٧) المكتبات جزء من الدخل القومى فهى مواطن المعرفة (٨) الوثائق تخدم قضية الكتاب (٩) التداول يعد تكاملا للانتاج القومى (١٠) الكتب تخدم قضية التفاهم والتعاون بين الدول ٠

وكان الموضوع الرئيسى المطروح للمناقشــــة فى « اجتماع خبراء البلاد العربية » هو « التعاون الاقليمى بين الدول العربية بشأن النهوض بالكتاب » ٠٠ ومن أهــم الأبحــــاث التى قدمت فى الاجتماع البحث الذى أعده المغربى « أحمد الاخضر » عن « الحلول المجدية لمشاكل الطباعة العربية » ويهدف الى تبسيط الحروف وخفض عددها (وقد أقرت الحكومة المغربية هذه الحلول ووضعتها موضع التنفيذ) وبحثا آخر أعده « ك٠ر٠ ماير » عن « امكانات زيادة الانتاج المحلى من الورق الثقافى فى البلاد العربية » وبحث ثالث اعدته « سكرتارية اليونسكو » عن « مشـــــكلات الكتاب فى البلاد العربية » حيث برزت حقائق اهمها : ان نسبة الأمية فى الدول العربية الستة عشرة تصل الى ٧٣٪ فعدد المتعلمين يبلــغ ١٨ مليونا من ١٢٥ فى الدول العربية لاتتعدى ١٪ من الانتاج العالمى و ٥ آلاف كتاب فى السنة فى مقابل ٤٩٦ الف فى العالم ، تنتج مصر وحدها الفين من الكتب) ٠٠ اما عدد النسخ فيصل الى ٥٠ مليون بمعدل ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة أى نصف نسخة لكل فرد ، والمعدل العالمى يبلغ ١٤٠ كتابا أى أكثر من نسختين لكل فرد ، بينما يصل المعدل الأوروبى وحده الى ٤٩٠ كتابا اى ٧ نسخ لكل فرد ٠٠ وتبلغ نسبة الكتب الدراسية التى يفيد منها ١٤٣٩٦ الف طالب فى الدول العربية (وتصنع بصورة غير جذابة كما تعرض اعدادها على نحو سيىء) الى ٣ بينما النسبة العالمية متساوية ٠٠ ويبلغ انتاج الكتب الاجتماعية ٢٤٪ والآداب ٢٠٪ (وهى نسب متساوية مع النسب العالمية) اما كتب الدين التى تبلغ ٥ر١١٪ (فهى تزيد بنسبة ٩٪) بينما قلت

كتب العلوم التطبيقية ١٠٪ والعلوم البحتة ٥ر٤٪ والفنون ٥ر٢٪ عن النسب العالمية وتقل أكثر كتب الاطفال البالغ عددهم في الدول العربية ٢٥ مليونا بالاضافة الى ٢٠٠ الف في دور الحضانة ٠٠ وان أعلى نسبة من الكتب العربية المترجمة الى لغات أجنبية بلغت في سنة ٦٧ حوالي ٥٥ر٠٪ من النسبة العالمية (٢١٧ كتابا ٤٠٪ منها كتبا دينية) ٠

ونصل الى التوصيات التي اعلنت في ختام الاجتماع وبلغ عددها ٥٨ توصية نذكر منها :

(١) بداية تخطيط شامل يمتد الى عام ١٩٩٠ (٢) مكافحة الأمية كمفتاح لانتشار الكتب (٣) حماية حقوق المؤلفين والمترجمين والانضمام الى الاتفاقيات الدولية وخاصة الاتفاقية التي صدرت عام ١٩٥٢ (٤) تشجيع الابداع الادبي وبصفة خاصة لدى الشباب باجراء مسابقات ومنح جوائز سخية (٥) العناية بكتب الاطفال (٦) الاهتمام بالترجمة الى اللغات الأجنبية (٧) العمل على انتاج الورق محليا تجنبا لازمات الاستيراد المستمرة (٨) تخفيض الرسوم الجمركية على الكتب وعلى المواد المستخدمة في انتاجها وعلى ورق الصحف (٩) تخفيض رسوم النقل الجوي والبحري المفروضة على الكتب (١٠) انشاء مركز اقليمي للكتاب في البلاد العربية ٠

وقد اتخذت بالفعل خطوات ايجابية بشأن انشاء « المركز الاقليمي للكتاب » فتقرر ان يكون مقره الدائم بالقاهرة حيث يشغل جزءا من المبنى الجديد للهيئة المصرية العامة للكتاب الذي يضم دار الكتب ودار النشر ٠٠ على ان يهتم هذا المركز (١) بتنظيم السوق العربية للكتاب (٢) وحل المشكلات الجمركية ومشكلات النقل (٣) وتدريب المهنيين (٤) وحماية حقوق المؤلفين والمترجمين (٥) وتشجيع القراءة (٦) وتبادل الوثائق ٠

وتبقى بعض الملاحظات التى كان من الممكن أن ترتفـــع الى مستوى التوصيات ونأمل أن يضعها « المركز الاقليمى » المزمع انشاؤه موضع الاعتبار ٠٠ (١) حظر طباعة الكتب الجنسية الرخيصة التى تنتشر فى الاسواق العربية (٢) عدم ترجمة الكتاب الأجنبى الواحد الى اللغة العربية أكثر من مرة لاتاحة الفرصة أمام ترجمة مزيد من الكتب (٣) رفع مستوى الترجمة عن طريق لجنة فحص تتبع المركز الاقليمى (٤) الارتفاع بمستوى الكتاب المؤلف عن طريق لجنة قراءة تابعة لنفس المركز وتسرى أحكامها أيضا على النشر الخالص (٥) تخفيض اسعار نشر الاعلانات الخاصة بالكتب فى الصحف والمجلات والتليفزيون بنسبة كبيرة تيسيرا للدعــاية المفتقدة (٦) مســـاهمة اليونسكو فى خفض أسعار الكتب الأجنبية التى تستوردها الدول العربية (٧) خفض الضرائب بالنسبة لدور الطباعة والنشـــر (٨) انشاء دار نشر متخصصة فى انتاج كتب الاطفال ٠

ان ترتفع فجأة ويوما بعد يوم أسعار الكتاب فى العالم وفى مصر نتيجة لأزمة الورق شىء جائز ٠٠ أما أن ترتفع أسعار الكتاب المطبوع قبل أن تحدث الازمة ، فهذا هو « التلاعب » الذى يؤكد أن الكتاب قد أصبح « سلعة » وان التعامل معه أصبح تجارة تدر الربح السريع والمغالى فيه سواء فى القطاع الخاص أو القطاع العام ٠٠ بينما الطبيعى أن يظل الكتاب فى القطاع العام واحدا من مجالات « الخدمة العامة » لما له من أهمية فى التربية والتوعية والتثقيف والاعلام ، وكذلك بالنسبة للقطاع الخاص الذى يفترض أن أصحاب دور النشر فيه « أصحاب رسالة » وليسوا تجارا ، والا اتجهوا الى مشروعات أخرى أكثر كسبا والى سلع أخرى أكثر رواجا ٠٠ فما يحدث الآن يخضع لأحكام « الغش » و « السرقة » ، ذلك أن الناشرين ومؤلفى الكتب المدرسية ، والجامعية والعامة ، اما أنهم « يكشطون » السعر القديم ويضعون سعرا مضاعفا ، أو « ينزعون » الغلاف القديم ويضعون غلافا يحمل سعرا جديدا ٠٠ سواء بالنسبة للكتب الحكومية أو الكتب الخاصة ٠٠ وكثيرا ما « يجمع » الناشرون اللبنانيون كل الكمية المطبوعة من الكتاب ، اما من المكتبات أو من مخازن هيئة الكتاب ثم يغيرون الغلاف ويبيعونها بسعر مرتفع فى بيروت والقاهرة على السواء ٠

هذه الظاهرة الخطيرة وغيرها من الظواهر المتعلقة بمشاكل الكتاب ، جديرة بالمناقشة والبحث فى اطار « المعرض الدولى للكتاب » الذى يقام كل عام بالقاهرة ، من أجل انقاذ الكتاب ٠

الترجمة هى أصلا من أجل القارىء الذى لا يجيد لغة النص الأصلى ٠٠ فكيف يتسنى للمترجم أن يقدم له ترجمة سليمة وامينة على ضوء هذا المفهوم المبدئى ؟

تشبه الترجمة عمليات « نقل الدم » تلك التى تتطلب توافق الفصائل ، فصيلة النص الأصلى وفصيلة النص المترجم ، فالشعر شعر ، والنثر نثر ، والرواية رواية ، والمسرحية مسرحية وهكذا ٠

لكن البعض يرى أن النص المترجم لا ينبغى أن يعطينا الاحساس بأنه كذلك ٠ ٠ويرى البعض الآخر أن نجاح الترجمة هو فى مطابقتها مرة أخرى بالأصل ٠٠ أما عملية « نقل الروح » فهى أقرب الى « الاقتباس » منها الى الترجمة ، وهنا فقط يمكن احداث التغيير ، ، فيصير « الخواجة » ، « شيخا » ويصبح « جوزيف » ، « يوسف » أو حتى « عوضين » ٠٠ بينما تقتضى الترجمة الاحتفاظ بالاسماء والمسميات كما هى ، فنقول « ميشيل » وليس « ميخائيل » ونقول « الساعة ١٤ » وليس « ٢ بعد الظهر » ونبقى على القمر مؤنثا والشمس مذكرا ٠

وفى هذا يقول ناقد (التايمز) بعد قراءته لمسرحية توفيق الحكيم : « ٠٠ يصدم العقل الغربى باشياء غير مألوفة ، ففى حين ان القمر عندنا مؤنث نجد ان الوزير عندهم اسمه « قمر » وان « شهر زاد » التى تعنى الشمس هى عندنا مذكرة » ٠

أما فكرة « المياه الاقليمية » التى يدخل فيها النص الأصلى ليتحول الى نص محلى ، فهى غير واردة ، لأنه ليس من المعقول ان يرتدى المواطن الغربى جلبابا لمجرد انتقاله من بلد الى آخر ،

فضلا عن تغيير لهجته وعاداته وتقاليده ومفاهيمه ذاتها ٠٠ وهل تصبح مثلا سفينة الشحن بما عليها من بضائع ، أو باخرة الركاب بما فيها من مسافرين ، بنمية لمجرد عبورها أو رسوها فى قناة بنما ؟

فى أوروبا ، بكل لغاتها المختلفة ، يستخدمون كلمة « يوم سعيد » فى تحية الصباح ، بينما نستخدم نحن كلمة « صباح الخير » أو « صبحك الله بالخير » ٠

والترجمة الأمينة ، لن تفسد الأدب بأى حال اذا هى حافظت على التعبير الأول عند نقله الى اللغة العربية وعلى التعبير الثانى اذا هى نقلته الى اللغات الأجنبية ٠

وكثيرا مايحدث هذا عند نقل الأمثلة الشعبية لكل أمة من الأمم والطبيعى أن ينقل المثل كما هو ، ولا مانع من ذكر المثل المقابل له فى اللغة المنقول اليها النص الأصلى فى الهامش ٠

فاذا انتقلنا الى صيغ الاستعارة والكناية البلاغية ، وجدنا ان تشبيه الرجل بالجمل فى اللغة العربية يعنى وصفه بالصبر والقدرة على التحمل ، وهو تشبيه لا يعنى شيئا فى اللغات الأجنبية ٠ بينما تشبيه الرجل بالأسد يدل على المعنى المقصود ، فى أية لغة من اللغات ٠٠ وفى فرنسا يستخدمون تعبير « بقرتى العجوز » للدلال والمداعبة ، وهو تعبير قد يؤخذ فى أى وطن آخر على أنه اهانة ٠

ويبقى الشعر من مشكلات الترجمة المستعصية ، ذلك ان نقل المضمون دون الشكل يفقد الشعر جرسه وايقاعاته أو موسيقاه ، وهل يمكن ترجمة الموسيقى ؟

لذا فان عملية « نقل المعنى » ينبغى أن تصحبها عملية « نقل المبنى » ايضا حتى يتم نقل « الكائن » بأكمله ٠٠ وهنا ترتفع «الترجمة» بامانتها وصياغتها البلاغية والأدبية الى مستوى التاليف الابداعى ذاته ٠

قضية الترجمة ·· وروح النص

على الرغم من اهمية الترجمة ، ودورها الفعال الذى تلعبه فى التعريف بالحضارات والثقافات والتقريب بينها ، منذ مطلع عصر النهضة وحتى الآن ·· فضلا عن تبادل وجهات النظر بين الحكومات وعقد الصلات بين الشعوب والتواصل بين الأجيـــال ، وبالرغم من الجهد المبذول فيها وعناصر الابداع الأدبى والفنى التى ينبغـــى أن تتوافر لها فلا يزال ينظر اليها على انها عملية آلية أو مهنة أو حرفة أو بالكثير أدب من الدرجة الثانية ·· وهى نظرة قاصرة علينا هنا فى مصر وفى مصر وحدها ، وفى الآونة الأخيرة بصفة خاصة ، فما هكذا كانت النظرة خلال عصـــر رفاعة الطهطـــاوى ومحمد عبده التبشيرى وعصر عباس العقاد وطه حسين التنويرى وعصر غنيمى هلال وحسن عثمان التوجيهى ·· فان أكثر الدول تخلفا فى افريقيا السوداء وفى الوطن العربى ، أصبحت تهتم بالترجمة والمترجمين ، اهتماما أدبيا وماديا ، كبيرا وملموسا معا ·

ففى الكويت مثلا تحتسب الكلمة الواحدة بثلاثين مليما ، بينما تحتسب فى مصر بستة مليمات فقط ، ولا يزال مشروع رفع هذه القيمة الضعيفة فى ظل ارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة الى عشرين مليما معطلا فى كل مراحله وعلى جميع المستويات ·

ولا يتوقف الاهمال والازدراء عند هذا الحد ، فقد وصل من ناحية الى التصدى الغريب والعجيب حقا لايقاف سلسلة « روائع المسرح العالمى » وسلسلة « روايات عالمية » اللتين كانتا تصدران بانتظام عن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » وهى الهيئة الحكومية

الوحيدة التى يحقق لنا محاسبتها والاعتماد عليها ، الى أن أعاد د٠ سمير سرحان اصـــدارهما من جديد ٠٠ ومن ناحية أخرى وصل هذا الاهمال وذلك الازدراء الى الوقفة الغريبة والعجيبة فعلا التى وقفها غالبية الاعضاء ـ وهم من الاساتذة والدكاترة الاجلاء ـ فى لجنة الترجمـة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ضـــد منح الجائزة لأســـاتذة ودكاترة هـم أيضا أجلاء لهم فضل كبير وجهد وفير وانتاج غزير ، لا يستحقون عليه الجائزة التشجيعية بجنيهاتها الألف فحسب فقد تعدوا مرحلة التشجيع وان لم يصلوا بعد الى مرحلة التقدير ، ولذلك أصبح انشاء الجائزة الوســط بين التشـــجيعية والتقديرية ، ضرورة ملحة لهؤلاء ولمن فى مستواهم واعمارهـــم ، ليس فيما يتعلق بالترجمة وحدها ولكن فى كافة فروع العلم والمعرفة ٠

فاذا كان هؤلاء الاساتذة والدكاترة ـ اعضاء لجنة الترجمة ـ قد رأوا أن اعمال الاساتذة الدكاترة المقدمة للمجلس ، لاترقى الى مستوى الجائزة ، وهو عكس ما قاله النقـــاد الذين كتبوا عن تلك الأعمال ، والقراء الذين اقبلوا على قراءتها ، فلماذا لم يستخدموا حقهم ـ كما تنص اللوائح والقوانين ـ فى ترشيح واختيار اعمال لأساتذة ودكاترة آخرين قد ترقى الى المستوى الذى يتطلبونه ٠٠ والا فانهم يحكمون بخلو الساحة وخوائها ٠

وهم بالمنع وعدم المنح ، يساهمون ولا جدال فى اعاقة حركـة الترجمة بانصراف الرواد والمجيدين والشباب عن العمل المضنى فى محرابها والسباحة الصعبة فى مجالاتها ٠

ولعلها تكون مناسبة جادة وجيدة لطرح القضية على مستوى وزارة الثقافة باجهزتها المختصة وعلى الرأى العام الثقافى لحل كل هذه المشكلات وكل تلك المتناقضات من أجل ازدهار حركة الترجمة قبل أن تتوقف الى الابد ٠

الندوات الأدبية ·· الحركة والركود !

منذ فترة طويلة والندوات الأدبية ، شأنها شأن الأنشطة الثقافية الأخرى ، تعانى من ركود وهبوط ، قد يوصلانها الى حافة الاختفاء والاندثار ·· ركود يتمثل فى قلة عدد الندوات المنعقدة خلال الموسم الثقافى الواحد فى كافة الجمعيات والهيئات الثقافية الرسمية والجماهيرية والخاصة ، كما يتمثل فى قلة عدد الرواد الذين يرتادون هذه الندوات متحدثين أو مستمعين ·· وهبوط يتمثل فى مستوى القضايا المطروحة والمناقشات الدائرة ·· على الرغم من تكاثر هذه الجمعيات وانتشارها ، وبرغم ارتفاع نسبة المثقفين والمهتمين بالثقافة ، ورغم تضاعف القضايا المثارة والملحة التى تحتاج الى حلقات بحث ودراسة وليس فقط الى ندوات ·· مجرد ندوات !

نقول هذا بعد أن تفشت تلك الظاهرة واستشرت ، ونقوله أيضا وبصفة خاصة بعد الندوتين اللتين أعلن عنهما « قصر ثقافة مصر الجديدة » و« دار الأدباء » ، فقد تخلف أغلب المتحدثين والشعراء بدون عذر قاهر أو سبب معقول ، كما خلت القاعتان على سعتهما من الرواد ··

لماذا ؟ !

هذا هو السؤال الكبير والهام الآن !

أما الاجابة فتجىء متضمنة لتحليل الظاهرة ، استنتاجا وملاحظة ودراسة ·· أولها وفى مقدمتها جميعا تجاهل وسائل الاعلام الاذاعية والتليفزيونية والصحفية لكافة الندوات سواء بالتسجيل أو التعليق أو الاشارة ·· ثم انعدام الصلة والتواصل

بين منصة المتحدثين وقاعة المستمعين ، وفقدان الندوات للغة الواحدة المشتركة بين قطبيها ، وأخيرا عدم تفرغ المثقفين من أصحاب الرأى نثرا وشـــعرا وعدم اســـتعداد المثقفين وتهيؤهم للتزيـد بالزاد الثقافى ٠٠ فالكل مشغول بالاحتياجات الأساسية والمتطلبات الرئيسية فى دوامة الحياة ، بحيث لا يبقى فى الانسان أى جهد يبذل للتنقل والتثقف ، فيركن الى الاسترخاء امام التليفزيون أو الاكتفاء بتحمل مشاق الانتقال الى أماكن اللهو ، سواء فى السينما التجارية والمسرح الخاص أو الملاهى بالنسبة للقادرين أو النوادى بالنسبة لمتوسطى الدخل أو المقاهى بالنسبة للبسطاء ٠٠

وكما تضمن تحليل الظاهرة ٠ الاجابة ، فانه يتضمن أيضـــا الحلول وهى سهلة ويسيرة ومتعددة ٠ وهذا واضح ولكنه لا يحتمل المغالطة ولا يتحمل المراوغة ، والا تحول المرض العارض الى داء مستعص يجلب أمراضا أخرى أشد خطرا وأكثر خطورة ٠٠

وما يقال عن الندوات الأدبية ينطبق كذلك على الندوات الفنية والعلمية والنقابية وما الى ذلك ، اليس كذلك ؟ !

على الرغم من ظهور ترجمات كثيرة ولكنها متناثرة ومتباعدة لانتاج عدد من الكتاب العرب ، الا ان عام ١٩٦٤ يعد البداية الحقيقية لاهتمام دور النشر الفرنسية بالأدب العربى المعاصر .. فقد عنيت « دار سووى » باصدار ثلاثة كتب ضـــخمة تحت عنوان موحـــد « مختارات من الأدب العربى المعاصر » قدم لها المستشرق الفرنسى المعروف « جاك بيرك » .. أولها عن « الرواية والقصة القصيرة » وثانيها عن « الدراسات الأدبية » وآخرها عن « الشعر » .. ثم أصدر الناشر الفرنسى « جيروم مارتينو » عام ١٩٧٠ سلسلة باسم « المكتبة العربية » تعنى بترجمة أبرز الأعمال العربية فى مجالات الأدب مثل « زقاق المدق » لنجيب محفوظ و « تحولات الهجرة فى اقاليم الليل والنهار » لأدونيس،وفى العلوم الاجتماعية مثل « البناء مع الشعب » لحسن فتحــى وفى العلوم الســـياسية مثل « مفاتيـــح الحرب » لبيير روسى .

وقد خلص « جاك بيرك » فى مقدمته لثلاثية « الأدب العربى المعاصر » الى أن هدف هذه الثلاثية هو « عرض حياة ومشكلات الوطن العربى من وجهة نظر كتابه » حيث « الفصـــحى هى اللغة المشتركة بين الدول العربية ، والقرآن هو البيان وهو الأســـلوب ، والاسلام هو المنهج وهو الدستور » .

ومع هذا فقد حـــاول أدبـــاء المهجر « جبران ونعيمة وايليا أبو ماضى » اعادة اكتشاف الطبيعة والحياة ، وحـــاول الرئدان

المصريان « طه حسين والعقاد » نقل التراث الغربى والافادة منه ، وحاول شعراء الوطنية « شوقى وحافظ ومطران » التعبير عن الذات الأصيلة ٠٠ وساهمت المجلات المتخصصة « المجلة والهلال والكاتب » فى مصر و « الأديب والآداب وشعر » فى لبنان و « الفكر » فى تونس ، فى تعميق الفكرة القومية ٠

ثم يستعرض « بيرك » كفاح الشعب العربى وصراعه ضـــد الاستعمار من أجل الاستقلال والحرية ، فيذكر أحد أبيات « أبو القاسم الشابى » الشهيرة :

اذا الشـــعب يومـــا أراد الحيـــــاة
فـــلا بـــد ان يســـتجيب القـــــدر

كنموذج لشعر الحماسة ، تلك الحماســـة التى امتدت الى الرواية والقصة القصيرة والمسرح والمقالة والفلسفة أيضا ٠

وتستمر المسيرة العربية فى تقدير « بيرك » برغم المعـــارك الفكرية الكثيرة التى اثارتها وتثيرها الاجيال الجديدة وأبرزها ذلك الصراع التقليدى بين القديم والحديث وأضمنها ذلك الصراع الشكلى بين مدرستى الفن للفن والفن الملتزم وأهمها ذلك الصراع المصيرى بين القومية والوطنية ٠

انها وجهة نظر غربية فى أدبنا العربى المعاصر ، مطروحـــة للمناقشة وقابلة للمعارضة والتصحيح ، ولكنها وجهة نظر محايدة فى النهاية ٠٠ فان جاءت غير كـــاملة أو مكتملة ، فلا شـــك أن استعراضنا للآراء التى وردت فى الكتب الثلاثة مصحوبة بمختارات أدبية ، يمكن أن يدعم وجهة النظر الغربية هذه فى أدبنا العربـــى المعاصر ٠

دراسات غربية

الظواهر الأدبية .. بعد ضرب هيروشيما

هذه دراسة حول السنوات التى تلت السادس من أغسطس ١٩٤٥ ، يوم القى الجيش الامريكى القنبلة الذرية على هيروشيما ، ليبدأ العصر الذرى ويعلن الانسان عن انتصاره واندثاره فى الوقت نفسه.. هذه السنوات التالية على الحدث غير الانسانى اعادت طرح الأسئلة من جديد : لماذا الالتزام ؟ .. ما هو الانسان ؟ .. ماهى السعادة ؟ ماهى اللغة ؟ ماهو الفكر ؟ .. الى أين يتجه الأدب ؟ .. وأسئلة كثيرة أخرى ..

ولقد بدأ سارتر هذه الأسئلة ، ففى عام ١٩٤٧ طرح سؤاله الشهير « ماهو الأدب ؟ » .. ومنذ هذا التاريخ وحتى استقرت فرنسواز ساجان على عرش الرواية والأسئلة لا تكف ولا تنتهى ، حتى سألت بدورها .. ماهى السعادة ؟ .. أما الان روب جرييه فقد تساءل بقوله « ماهى الرواية ؟ » .

وفى روايته ندجا يلقى أندريه بريتون بهذا السؤال « من أكون ؟ » .

وساد الشك وسيطر حتى أن ناتالى ساروت وضعت كتابا كاملا اسمته « عصر الشك » وبعدها ولدت كلمة الأزمة وأصبحت صـــفة ملازمة للعمل الابداعى ، اى عمل ابداعى ٠٠ أزمة الانسان ، أزمة الانسانية ، أزمة الأدب ، أزمة الفكر ، وهكذا ٠٠ وأصبح السؤال الأخير هو : من أين جئنا ، والى أين نتجه ؟ ٠

ووجد فرنسوا موریاك أن الخلاص فى المقاومة مقاومة أى شىء يدخل فى نطاق الشر من أجل تحقيق الخير ، بدءا بالمقاومة العسكرية وحتى المقاومة الفكرية ٠

واتحد المفكران سارتر وكامو دون سابق اتفاق حول التوجه للشباب ومناقشة قضاياه ووضعه أمام مشاكله ومصيره واشراكه فى فلسفة الحياة والحكم ، ومن هنا ظهرت كلمة الالتزام كما تأكدت كلمات المقاومة والثورة والمشاركة والعالم الواحد ثم الاشتراكيـة والحرية

أما الوجودية ثم العبث واللامعقول فقد ظهرت مع انتاجهما الأدبى والفلسفى ، فقد كتب سارتر ثلاثيته الشهيرة سبل الحرية وهى سن الرشد والقناعة فى الذات وكتب كامو الغريب وأسطورة سيزيف وسوء التفاهم وكاليجولا والطاعون وحالة الحصار ٠

وأكدت سيمون دى بوفوار هذا الاتجاه بانتاجها الانثوى المتميز
ويصل الى الساحة الفكرية والأدبية مجموعة من الشباب ـ اصبحوا الآن أساتذة ـ هم كتاب العبث أو اللامعقول فى المسرح والرواية والقصة والسينما كذلك ٠٠ وقد ترجمت أعمالهم الى ١٨ لغة على الأقل ٠٠ اشهر هؤلاء واسبقهم الى النشر والجمهور هو صمويل بيكيت مؤلف فى انتظار جودو ونهاية اللعبة ثم أوجين يونسكو مؤلف المغنية الصلعاء والخرتيت ثم ناتالى ساروت مؤلفة انفعالات وعصر الشك ثم الان روب جرييه مؤلف الغيرة ونحو رواية جديدة ثم

كلود سيمون مؤلف الريح ثم ميشيل بيتور مؤلف التعبير ثم روبير بانجيه مؤلف باجا ثم مارجريت دورا مؤلفة هيروشيما حبيبى ٠

ولكن ماذا بعد هذه الموجة ٠٠ لا شىء ٠٠ انحسار شديد لها دون ظهور موجات جديدة بعدهـــا حتى الآن ٠٠ وهذه هى دورات التاريخ ٠

وكما لعبت الكتب دورا أساسيا فى الفكر والأدب لعبت المجلات الملتزمة دورا رئيسيا فيهما فضلا عن السياسة والأخلاق ٠٠ من هذه المجلات « الازمنة الحديثة » ٠٠

وبعد الكتب والمجلات ، لعبت الكهوف ، كهوف الشباب دورها البارز وخاصة كهف تابو فى حى سان جرمان حيث تحولت علـــب الليل الى ساحات للحوار والمناقشات قادهـــا ريمون كونو وبوريس فيان وشخصيات كثيرة أخرى ٠

ولم تتخلف الموسيقى عن الركب فظهر الجاز فى حدائـــق الشانزليزيه مع جولييت جريكو ٠

وظهرت أسماء جديدة تركت بصماتها واضحة ، منها من رحل مبكرا ومنها من استمر فترة أطول من البقاء والعطاء ٠

سانت اكسوبيرى الذى ترك فى عام ١٩١٨ رواية لم تكتمـــل بعنوان « القلعة » ، وجورج برنانو الذى ترك فرنسا الى تونس كما ترك روايته « حلم شرير » لتنشرها جمعية أصدقاء برنانو التى تكونت بعد رحيله ثم أصبحت ظاهرة ثقافية وفنية بعد ذلك ٠٠ ومارسيـــل ايميه مؤلف المسرحية الشهيرة « رأس الآخرين » ، وجوليان جراك الذى فاز بجائزة الجونكور وأصدر عام ١٩٥٨ ديوانه « شرفة فى الغابة » ولكنه رفض الجائزة ، وكانت أول مرة يرفض فيها كاتـــب جائزة معترف بها ٠٠ وهنرى ميشـــو الذى كتب عنه أندريه جيد دراسة بعنوان « لنكتشف ميشو الشاعر » ٠

ولعبت حركة الترجمة دورها فى تقريب المسافات بين أوروبا من ناحية وأمريكا من ناحية أخرى ٠٠ ففى انجلترا ظهر جراهام جرين ، وفى المانيا ظهر كافكا وكيركجارد أما فى أمريكا فقد عرفت اسماء هيمنجواى وفوكنر وشتاينبك ووليام سارويان وهنرى ميللر وايروين شو وجون أوهارا وترومان كابوت ٠

فى هذه الظروف بدأت ظاهرة جديدة فى الانتشار وهى الجوائز السنوية التى تخصصها دور النشـــر الاهليــة بعيدا عن الجوائز الرسمية التى تمنحها الدولة ممثلة فى الاجهزة التابعة لها ٠٠ من هذه الجوائز التى نالت شهرة واسعة فيما بعد وحتى الآن: الجونكور ، رونودو ، فيمينا وميديسيس ٠

ووصل الى الساحة جيل جديد من الكتاب بعد أن رحل اندريه جيد فى فبراير عام ١٩٥١ ، دون أن يكون هناك ارتباط عضـــوى بين هذا الرحيل وذاك الميلاد ٠

فى البداية جاء روجيه فيمبيه ولكنه لم يستمر ، وسجل عـدم استمراره ظاهرة أخرى ، فقد أخذ الكثيرون يلمعون بســـرعة ثم ينطفئون بالسرعة نفسها ونذكر منهم : بلوندان ـ لوران ـ فيدالى ـ ديوان ٠٠ ولم ينل شهرته غير فيليسيان مارسو وجان كوكتو ثـم فرنسواز ساجان ٠٠ ولمعت ساجان لتعود المرأة الى عالم الأدب بعد فترة احتجاب طويلة وليصبح للمجلات صـــورة فتاة غلاف أدبية ، حتى أن مجلة أدبية جديدة أسمت نفسها « الباريسية » وضعت على غلاف أول عدد صورة ساجان ٠

ومع هذه الموجة الجديدة بدأت تتكون نوادى الأدب وهـــى تشبه النوادى الثقافية والجمعيات الثقافية وروابط الأدب ودور الأدب ، فتكون النادى الفرنسى للكتاب ونادى الكتاب الأفضـــل ونادى الناشرين ، وقد عملت هذه النوادى منذ البداية على تشجيع الأدباء وتوزيع الجوائز ونشر الانتاج الأول ٠٠

وخرجت الى الوجود مجلات مصورة شديدة الثراء من الناحية الطباعية والفنية ولكنها تهتم فى الوقت نفســـه بالأدب مثل بارى ماتش وجور دو فرانس ثم كراسات السينما التى بشرت بالموجــة الجديدة فى السينما بمجرد ظهورها ٠

ومن الظواهر التى تسجل أيضا رسوخ الكتاب الكبار رغم انتشار كتاب الجيل الجديد ومواجاتهم الجديدة ، نذكر من هؤلاء أندريه بريتون وفرانسوا مورياك ولوى اراجون ، وفى مجال المسرح جان أنوى وجان فيلار وجيرار فيليب من حيث التأليف والاخراج والتمثيل ٠

وظاهرة أخرى كان لها تأثيرها فى العصور الماضية ثـــم توقفت لفترات طويلة ولكنها عادت فى اطـــار التجديد والتيارات الجديدة ، وهى ظاهرة الرسائل المتبادلة بين الكتاب والتى تمثــل فى نهاية الأمر مقطوعات أدبية ومذكرات شخصية ٠

هذه الرسائل والمراسلات هى التى سجلت ظاهرة أخــــرى وهى وفود عدد كبير من الأدباء والفنانين الى باريس ليكتبوا امــا بلغاتهم الأصلية ثم يترجمون ما يكتبون أو يكتبون مباشرة بالفرنسية فى اطار الموجات الجديدة : بيكيت من ايرلندا ، سيوران ويونسكو من رومانيا ، اداموف من القوقاز ، ناتالى ساروت من روسيا ، شحادة من لبنان ، خوذيه لويز دى فيللا لونجا وأرابال من اسبانيا ، كارلو كوسيونى من ايطاليا ، أدوار جليسون من الانتيل ، ايميه سيزير من الكاريبى ، سنجور من السنغال ، جاك كودلو وآن هيبر من كندا ، محمد ديب ومولود معمرى وكاتــب ياســين من الجزائــر دربس شرابى وطاهر بن جلون من المغرب ، واندريه شديد وجويس منصور والبير قصيرى من مصر ٠

أما النقد الأدبى فقد وجد ما يضيفه الى تاريخه عندما اهتم

رولان بارت وجاستون باشلار بتحليل اللغة الى جانب العناصر الأدبية الأخرى وكانت أهم مؤلفاتهما فى هذا المجال « درجة الكتابة » للأول و « شاعرية المساحة » للاخير ٠

وهكذا تسجل هذه الدراسة مرحلتين هامتين فى تاريخ الأدب ـ والفكر والفن ـ منذ دمرت القنبلة الذرية الانسان وأحلام الانسان حتى يومنا هذا ٠٠ المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٣ وهى الزاخرة بكل الظواهر ، أما المرحلة الثانية فهى التى تبدأ من عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٨٣ والتى لم تسجل أية ظاهرة أدبية أو فكرية أو فنية جديدة يمكن أن تضاف الى ما سبق من ظواهر ٠٠ وتلك ظاهرة فى حد ذاتها ٠

فى ختام الربع الثالث من القرن العشرين يصـــبح التعليق الاحصائى والتحليلى على ظاهرتى علم النفس والأدب فى السنوات العشر الأخيرة ، أمرا له طرافته وأهميته ٠

فى علم النفس الفرويدى

الظاهرة الملفتة فى مجال علم النفس فى السنوات العشـــر الأخيرة أن كل تلامذة فرويد أصبحوا معارضين له ٠٠ والغريب فى الأمر أن المفسرين يعتبرون هذا انتصارا للأستاذ « سيجموند فرويد »

ففى عام ١٩٧٢ ظهرت آراء معارضة لمـــا عرف بـ « عقدة أوديب » ، وقد ركزت هذه الآراء هجومها المفاجىء على ما يمكن تسميته بـ « أسرية » فرويد التى تتمثل فى الثالوث الأوديبى المعقد « الأب والأم والابن » كما يقول « دولوز » و « جانتارى » اللذان يتهمان فرويد بنسيانه لدور « المربية » ذلك الدور الغامض القادر على التأثير فى كثير من النوازع الطفولية ٠٠ وبهذا الدور تتم الحلقة البورجوازية التى عرفت أولا فى فيينا وحاولت أن تكون نواة نفسية للانسانية جمعاء ٠

وقد تزعم هذا الاتجاه المضاد لتحـاليل فرويد وتحليلاته ، عدد من العقول الكبرى مثل « آرتو » و « دوشـــان » و « رايخ » و « لاكان » وغيرهم ٠٠ كما ساهمت فى نشر هذه الآراء المضادة عدة مجلات متخصصة فى علم النفس مثـــل « مجلة علم النفس

الجديدة » و « كراسات التحليل » و « العلاج النفسى » و « عادة التحليل » وغيرها ٠

ولعل النصوص الأصلية التى جاءت فى « مراسلات » فرويد المتبادلة مع « فيستر » و « كارل أبراهام » و « لوسالومى » و« ارنولد زفاريج » وكذلك أبحاث « كليه » و « فينيكوت » و « بيتلهايم » حول « الطفل الصغير والجانب الانثوى » وأبحاث « ربك » و « بالانت » و « سبيتبز » و « بوفيه » و « جرود بك » حول « الطفل والتشويش النفسى » لعلها تفتح الطريق امام تلك العلاقة الخفية والقوية معا بين علم النفس من ناحية والتاريخ والاقتصاد الســـياسى والفــن الاستاتيكى والنقد الأدبى والانثروبولوجيا أو علم الانسان من ناحية أخرى ٠

أما « مفردات علم النفس » التى قدمها « لابلانش » و « بونتالى» فتحاول ان تقترب بصورة محددة تاريخية ونقدية وتحليلية وموضوعية من فكر فرويد ٠٠ فهى تعمل على انصاف « الأدب المؤسس » فهو « سيد المعرفة » بالنسبة لعلماء النفس،أو هو « سيد الحكمة » بالنسبة للفلاسفة و « سيد الهدم » بالنسبة للساسة ٠

ولقد ظهر من « المدرسة المجرية » علماء نفس يدينون لفرويد بالأبوة من أمثال « فيرنفشى » و« خيرمان » و « روهايم » ٠٠ أما « فيرنفشى » فقد عاد الى « الأم الأصل » ليصور من خلال قصيدته العلمية « تالاسسا » الأصول الجنسية للانسان ٠

وأما « هيرمان » فقد أكد من خلال كتابه « الغريزة الأسرية » الجانب الأنثوى النابع من عاطفة الأمومة فى جسد وتكوين كل انسان سواء أكان ذكرا أم أنثى ٠٠ وأما « روهايم » قد رأى من خلال كتابه « أبواب الحلم » أن نظريات فرويد اذا طبقت فى المجتمعات البدائية وخاصة فى الميثولوجيا الاسترالية ، تنتمى جميعها الى تلك

الآلة المظلمة التى نسميها « الحلم » ٠٠ أو هو يريد أن يرجع كل نظريات فرويد الى أصولها فى « الاحلام » ٠

وينفرد « فيلهيلم رايخ » بمجموعة من المؤلفات يكفى ذكر عناوينها لنقف على مضامينها والمقصود بها مثل « التحليم التخصى » و « سيكولوجية الحشود الفاشية » و « حملة الاخلاق الجيشية » و « الثورة الجنسية » و « مقتل المسيح » و « الناس والدولة » ثم « رايخ يتحدث عن فرويد » ٠

حقا ، لقد تحدث الجميع عن « فرويد » حتى وهم يختلفون معه أو وهم يختلفون حوله ٠٠ فهل يعد هذا انتصارا لفرويد فى السنوات العشر الأخيرة ؟

فى الأدب العالمى :

اما الظاهرة الملفتة فى الأدب المترجم والمنشور فى السنوات العشر الأخيرة فتمثل الطبعات الشعبية وأبرزها « كتاب الجيب » الذى قام بدور فعال فى تعريف جمهور القراء بكتاب كانوا قد لمعوا واستقروا بالفعل وكتاب آخرين حالت الطبعات المرتفعة الثمن بينهم وبين عامة القراء ٠٠ وأصرخ مثال على ذلك الروائى الشهير هنرى جيمس ٠٠ صحيح أن بعض رواياته بدأت تظهر ترجمات لها بالفرنسية عام ١٩٢٩ ولكن « كتاب الجيب » لم ينشر له غير عام ١٩٦٣ ثم عام ١٩٧٣ معظم رواياته التى حققت أرقاما قياسية فى التوزيع ٠٠ وهكذا عرض « هنرى جيمس » على المستوى الشعبى بعد أن كان معروفا لدى المثقفين فقط ٠

وما حدث لهنرى جيمس ينطبق كذلك على كل من ريلكه ونيتشه وفرويد وجرامسكى وغيرهم ٠٠ كذلك حدث نفس الشىء بالنسبة لكتاب الرواية الجديدة فى فرنسا ٠٠ فكتاب « عصر الشك » الذى

نشرته « ناتالى ساروت » عام ١٩٥٦ لم يعرف ولم يقم بدوره فى تعريف الرواية الجديدة الا عام ١٩٦٤ عندما نشر فى « كتاب الجيب » فى الوقت الذى ظهر فيه كتاب الان روب – جرييه « نحو رواية جديدة » ٠

وتكشف السنوات العشر الأخيرة عن عدد من الكتاب عرفوا فى فرنسا أكثر مما عرفوا فى بلادهم نتيجة لهذه الطبعة الشعبية السحرية « كتاب الجيب » :

لويس كارول البريطانى الذى يسير فى خط هنرى جيمس من حيث اهتمامه بالتحليل النفسى العميق واهتمـــامه كذلك باللغـــة وبالأسلوب ، الأمر الذى لم يعد فى حساب الكثيرين من الكتـــاب المعاصرين ٠

فيتكيفتش اليوغوسلافى الذى يكتب بطريقة متقدمة فنيا تستدعى أربعين سنة على الأقل لكى يتفاعل معها القارىء المعاصر ٠٠ فمازالت الرواية الجديدة تضع هذا القارىء فى حيرة ٠٠ ولهذا لعب « كتاب الجيب » دورا رئيسيا فى تعريف القراء بهذا الكاتب الجديد خاصة وقد تصدرت رواياته دراسات مبسطة وواضحة ٠٠ والى جانـــب فيتكيفيتش نذكر « روبير فالسر » و « برونو شانز » و « مارسيل بليشر » ٠

« بيتر هارتلنج » الألمانى الذى يركز فى كتاباته على اللغـــة ومدى قصورها عن التعريف وعن التقريب ٠٠ فهو الوجه المعاصر ليونسكو أول من تعرض لهذا الشكل وتلك القضية ٠٠ أما هارتلنج فهو يقدم « دون جوان » من جديد على اعتبار أن اللغة لم تكشف عن حقيقته عبر التاريخ ٠٠ والى جانب هـــارتلنج يظهر « جنتر جراس » من جديد و « جوزيف روث » الذى نشر عام ١٩٧٣ روايته المسماة « الليلة الثانية بعد الألف » ٠٠ ثم نذكر « جرجن بيكون » و « بيتر هانك » و « هلمت هيسنباتيل » ٠

« جابرييل جارسيا ماركيز » من كولومبيا وان كان يذكرنا بدوس باسوس وفوكنر ، بل وهيمنجواى ·· ولكن ماركيز يعبر عن أدباء أمريكا اللاتينية خير تعبير ·· وهو يشترك مع الكاتب الكوبى « ليزاما ليما » فى تقديم شكل جديد ومتطور للعمل الأدبى ، فهمـا يلتزمان بقضايا بلادهما ولكنهما فى الوقت نفسه يعبران عن هـذا الالتزام بالشكل الجديد الذى يتفق وروح العصر ، الى درجة أنهما كثيرا ما يقتربان من الشكل « اللامعقول » أو « العبث فى الأدب » ·

« ايطالو سفيفو » الايطالى الذى يعد من الكتاب والتعبيريين » ·· فهو على عكس الادباء الايطاليين الذين يتمسكون بالواقعية ، أو الواقعية الجديدة ، يتجه الى أعماق النفس البشرية ليستخلص بطريقة منفردة ونفسية مكونات ومكنونات هذه النفس المعقدة ·· والى جانب « سفيفو » نذكر « كارلو ايميليو جادا » و « ليونارد سياسيا » ·

« انطونيس ماراكيس » اليونانى الذى شارك مع مواطنه « تسيركاس » فى وضع الأدب اليونانى فى اطار العصر بعد أن ظل يعيش على تراثه فترة طويلة ·

وفى النهاية لا يمكن أن ينسى الراصـــد للحركة الأدبية فى السنوات العشر الأخيرة أكثر الاســـماء لمعانـــا فى تلك الفترة ، السوفيتى « الكسندر سولجنتسين » ·

مع مطلع كل عام ينشط الحقل الثقافى فى فرنسا ويستمر النشاط طوال الموسم كله وفى نهاية كل عام يكرم الكتاب والشعراء والنقاد الذين أضافوا جديدا الى حصاد السنين ·· يقدم الانتاج الى لجان المسابقات وبعد البحث تعلن النتائج وتمنح الجوائز ·

من أهم هذه الجوائز جائزة الاكاديمية وجائزة الجونكور وجائزة رونودو وجائزة فيمينا وجائزة ميديسيس وجائزة انترابيه ـ وكلها فى الرواية ـ وجائزة الاكاديمية فى الأدب ـ وجائزة ابوللينير فى الشعر وجائزة سانت بوف فى النقد الى جانب جائزة النقد الأدبى وجائزة النقاد ثم جائزة الدولة الكبرى فى الأدب ·

أما هذه الجائزة فهى أحدث الجوائز على الاطلاق اذ أنشئت سنة ١٩٥١ بينما أنشئت معظم الجوائز الأخرى سنة ١٩٣٨ ·

ان كل جائزة من هذه الجوائز انما تكتسب قيمتها الحقيقية من الذين يفوزون بها والأعمال التى تؤدى الى فوز أصحابها ·
من بين هذه الأسماء وتلك الأعمال نذكر على سبيل المثال ·

جبرييل مارسيل (٥٨) سان جون برس (٥٩) جاستون باشلار (٦١) جاك ماريتان (٦٣) جاك اوديبرتى (٦٤) جائزة الدولة الكبرى فى الأدب · جبرييل مارسيل (٤٨) جاك ماريتان (٦١) جائزة الاكاديمية فى الأدب · البيركامو (٤٧) عن (الطاعون) فرانسواز ساجان (٥٤) عن (صباح الخير أيها الحزن) الان روب ـ جرييه (٥٥) عن (العراف) جوزيه كابانيس (٦١) عن (بهجة النهار)

روبير بانجيه (٦٣) عن (التحقيق) جائزة النقاد • الساترييولية (٤٤) عن (العقبة الاولى) سيمون دوبوفوار (٥٤) عن (حكام الصين) رومان جارى (٥٦) جائزة الجونكور • ميشيل بوتور (٥٧) سيمون جاكمار (٦٢) جائزة رونودو • بييردو بوادوفر (٥٠) عن (تغيرات الأدب كاستكس (٥١) عن (القصة الخيالية) ميشيل بوتور (٦٠) عن (فهرس) جائزة النقد الادبى • سانت اكسوبرى (٣٩) عن (أرض البشر) ميشيل سان ـ بيير (٥٥) عن (الارستقراطيون) جائـزة الاكاديمية فى الرواية

وعن الرواية سنتكلم هنا •• وهنا سنكتفى بالكلام عن اهـم جوائزها : الاكاديمية ـ الجونكور ـ رونودو ، من خـــلال ثلاثـة فازوا بها مؤخرا ••

فرنسوا نوريسييه

جائزة الاكاديمية الفرنسية •

وفرنسوا نوريسييه ناقد أدبى (بالنوفيل ليتيرير) وروائى ظل فترة طويلة فى منطقة الظل الى أن كرمته أهم جائـــزة للرواية فى فرنسا وهى جائزة الاكاديمية •• ولد نوريسييه فى ٨ مايو سنة ١٩٢٧ ونشر أولى رواياته (الانسان المتضرع) سنة ١٩٥٠ ـ ثـم نشر فى السنة التالية رواية (الماء الرمادى) •

هذه الرواية الثانية كانت بداية (المرحلة الرمادية) فى حياة نوريسييه الأدبية والتى تشبه الى حد بعيد (المرحلة الزرقاء) فى حياة بيكاسو الفنية •• فكل من المرحلتين قد استمر خمس سنوات تغيرت الرؤيا بعدها الى العكس تماما •• فبيكاسو قد انتقل الى المرحلة الرمادية ونوريسييه قد بدأ مرحلته الزرقاء •

فى مرحلته التالية قدم نوريسييه بعد (الماء الرمادى) رواية

(أرمل أوتوى) (٥٦) (جســـد ديانا) (٥٧) والذى أضر بهاتين الروايتين هو أنهما وقعتا بين (الحب الحزين) لشاردون (واسمه الحقيقى جاك بوتللو ، روائى ولد عام ١٨٨٤) و (مرحبا بالحزن) لروجيه نيمييه (١٩٢٥ ـ ١٩٦٢) ٠

فنورسييه كان متأثرا بطريقة لاواعية بفكر شاردون وبطريقة واعية بفن نيمييه ٠٠ ومن هنا جاءت هذه المرحلة أو روايات هذه المرحلة رمادية الرؤيا باهتة الشخصية ان جاز هذا التعبير الأخير ٠

وانتهت سنوات المرحلة الرمادية بالتخلص من تاثير نيمييه والنظر من خلال عدسة غير عدسته ٠٠ فقدم نوريســـييه (أزرق كالليل) أروع رواياته وروايات موسم ٥٦ الثقافى فى فرنسا بشهادة جميع النقاد الذين ظلوا عند رأيهم على الرغم من عدم فوز هذه الرواية بأية جائزة من الجوائز الادبية و (أزرق كالليل) قصة أهم ما يميزها هو أنها كانت تعبيرا عن (ضمير العصر) وصـــدى لما يدور فى أفئدة شباب الستينات الفرنسى ٠

فقد جاءت تعبيرا صارخا عن (القلق السائد) الذى يهيمن على الجميع ويقود الكل ٠

غريب حقا أن تجىء المرحلة الزرقاء والجو ملبد بالغيـــوم وغريب أيضا أن تجىء الرواية الثانية فى هذه المرحلة وهى رواية (البورجوازى الصغير) تعبيرا عن الرغبة فى القلق وحده ٠

ولكن ما الذى طرأ على فن نوريسييه من تغيير وما الذى جعله يلون اسم روايته بهذا اللون (أزرق كالليل) الذى سميت به مرحلته الأدبية الثانية ؟ ٠

الواقع أن نوريسييه أحس فجأة أنه لا ينتمى الى (اليمين) ولا يمكن أن ينتمى اليه ٠٠ فهو يتمتع بالحرية والقدرة على الانطلاق

ولا يقدر أبدا على الوحدة والعزلة والترفع ٠٠ ومن هنا انحاز ومن هنا التزم ومن هنا اختار الجماهير العريضة أو الشعب ٠

لذلك لم يعد غريبا أن يعبر عن احساس الجيل ومشاعره وأن يرى (الوضع الراهن) أو (الحالة القائمة) بصورة المستقبل أو حلم المستقبل ٠

فهو يصور مادة الواقع الحزين بلون الحلم السعيد ٠٠ كالسينمائى الذى يصور لقطة عن البؤس ويلونها بلون فاتح أو رجل المسرح الذى يختار ستائر وردية لمشهد حزين أو المصور الذى يصبغ امامية اللوحة بألوان داكنة تعبيرا عن موضوع الفكرة ثم يلون الخلفية بألوان زاهية تعبيرا عن أمل الفكرة ٠

وهكذا رأى نوريسييه وهكذا فعل ٠٠ رأى القلق الذى حل محل الحزن ، حزن الحرب العالمية وقلق المصير بعد الدمار الذى خلفته الحرب العالمية ٠٠ وفعل ما من شأنه أن يساهم فى تخفيف حدة التوتر ٠٠ فغطى مساحة أرضه السوداء بسمائها الزرقاء وغلف نهار وطنه الداكن بليله الأزرق الذى لم يعد أسود ٠

فالليل كان قد ارتبط باللون الأسود واللون الأسود كان قد أصبح صفة الليل ٠٠ وشاء حلم نوريسييه أن يجعل الليل أزرق لأول مرة أصبح اللون الأزرق صفة من صفات الليل ٠

أما العمل الذى نال نوريسييه من أجله جائزة الاكاديمية فهو رواية (قصة فرنسية) و (قصة فرنسية) هى نقلة جديدة فى الأدب الميتافيزيقى من حيث جعله أدبا ثوريا فالملل والغيرة والحب مشاعر صورها الكاتب بمنهج تراجيدى رفيع قابله على الوجه الآخر تصوير واقعى وجرىء انطلق المؤلف من فوق قاعدته بصراحة واحيانا بوقاحة ليصل الى مقارنة دقيقة يعقدها بين العاصمة (باريس) وضواحيها ٠٠ فالضواحى تصب فى العاصمة وتعود فتصدر الى

ضواحيها الفن والفكر والعلم جنبا الى جنب مع ما تجلبه لها من انحلال والحاد وانفصام ٠

(مع نوريسييه ، لاتخشى شيئا فهو افضل من تقدم بانتاج أدبى خلال الفترة الأخيرة ، انه يتمتع بموهبة عالية وبقدرة كبيرة على التعبير) ٠

هكذا قال هرفيه بازان قبل فوز نوريسييه ٠٠ وعلى الرغم من هذا فقد جاء فوزه بجائزة الاكاديمية مفاجأة لعشرات الصحفيين الذين كانوا ينتظرون لحظة اعلان النتيجة التى توقعوا ان يكون الفائز بها أحد كاتبين لا ثالث لهما وهما جون لوى كورتيس وروبير ساباتييه ٠

٠ ادموند شارل — رو

جائزة الجونكور

ادموند شارل — رو امراة شابة من أسرة دبلوماسية قضت طفولتها فى روما حيث كان والدها سفيرا لفرنسا لدى الفاتيكان ٠٠ عادت الى فرنسا بعد الحرب وبعد ان خاضت فرنسا غمارها بمرضة فى موقعة فردوم عام ١٩٣٩ ثم فى الراين عـــام ١٩٤٥ ، عملت بالصحافة فبدأت فى مجلة (الـ) النسائية ثم مجلة (فوج) النسائية أيضا والتى وصلت فيها الى منصب رئيس التحرير وظلت رئيسة لتحريرها ٠٠ الى أن استقالت لتتفرغ تفرغا كاملا للانتاج الادبى هربا من (هذا العمل الذى يأكل الوقت والفكر والحياة) على حد تعبير ادموند نفسها ٠

و (نسيان باليرم) أو الرواية التى فازت بجائزة الجونكور كانت قصة قصيرة فى بداية الأمر وقبل ان تنشرها ادموند فكرت فى اذابة احداثها وتحويل كثافتها الى سائل مرن أو الى رواية ٠

استغرقت هذه الرواية ثمانى سنوات من عمر كاتبتها هـى نفسها السنوات التى قضتها رئيسة لتحرير مجلة (فوج) ٠

وفكرة الرواية تقوم على عقد مقارنة بين الحضارة الأصيلة والحضارة الزائفة ٠٠ وهى مقارنة تذكرنا بتلك التى عقدها نوريسييه فى روايته (قصة فرنسية) بين المدينة وضواحيها ٠٠ ويبدو أن الإتجاه الذى يسود الآن بين كتاب الرواية فى فرنسا هو المقارنة للخروج منها بتأييد صريح وواضح للقيم الاصيلة وادانة الحضارة الجديدة المعاصرة ٠

أما مقارنة ادموند شارل ــ رو فتجمع بين باليرم الثغر الايطالى ونيويورك المدينة الامريكية ٠ باليرم هى رمز لرفض النجاح كما يفهم فى المدن التى يقال أنها متحضرة ونيويورك هى العكس تماما فهى تسعى الى النجاح وتؤمن به ايمانا مطلقا ٠٠ والرواية بعد ذلك تبين أن الحياة الحقيقية تتمثل فى الوفاء للتقاليد والايمان بالماضى مع تطوير هذا الماضى والارتقاء به دون الوقوف عند حدوده الثابتة ٠٠ وايطاليا ترمز بناء على هذا المعنى الى الحضارة الأصيلة بينما ترمز أمريكا الى الحضارة الزائفة والمبالغ فيها ٠

(انى أعرف أشياء كثيرة عن هذا العالم وما على الا أن أنطلق لأعبر عنه) ٠

هكذا تقول ادموند شارل ــ رو وهكذا تكتب ٠٠ أما قولها فصدى لاحساسها بالحياة وأما كتابتها فصدى لتأثرها بكاتبين ايطاليين ابرزهما فايرى لاربو ٠٠ واعمقهما بيراندللو ٠

وبينما تأثر نوريسييه بشاردون ونيمييه ثم سرعان ما نسيهما وانطلق صادرا عن ذاته معبرا عن أعماقه ، استطاعت ادموند أن

تصدر عن ذاتها هي الأخرى وأن تعبر عن أعماقها ولكن دون أن تنســـى لاربو وبيراندللو وان كانت قد نســـيت باليرم وطن لاربو وبيراندللو وموطن طفولتها في الوقت نفسه ·

ما هو اذن عالم ادموند وماذا تعلم عنه وكيف نقلته شريحة حية الي القارىء ؟

لاشك أن طفولة ادموند ونشأتها في ايطاليا قد شكلتا مفهومها عن الحياة حتى ترسب هذا المفهوم في اللاشعور أو اللاوعي وعندما وعت الطفلة كانت قد انتقلت الى فرنسا ، الى هذا المناخ الفكري المغاير تماما والذي ربما كان هو المقصود لا نيويورك التي وضعتها في مواجهة باليرم · ولكن الذي لايدعو الى التأكد الكامل لهذا المعنى هو أن ادموند عاشت فترة في امريكا مالبثت أن سئمتها فعـــادت الى فرنسا ·

هذا المزيج الجغرافي والتاريخي بين أوروبا (ايطاليا وفرنسا) وبين أمريكا عاشته ادموند وعاشت درجات اختلافه وتفاوته · · أوروبا المفكرة بفلسفة سارتر وكامو وشعر أراجون وبريتون وأوروبا الفنانة بنحت رودان وجياكومتي ومسرح كريستان بيرار ومينوتي · · ثم أمريكا الصناعية التي لا هم لها غير العلم ولامسعى لها غير الوصول الى أقصى درجات العلم من أجل الدمار أو العمار على السواء وعلى حسب مايحقق أحدهما أو كلاهما من النجاح والسيطرة بعيدا عن كل فكر وكل فن · · هذان العنصران اللذان فشلت أمريكا فيهمـــا تماما ·

تقع (نسيان باليرم) أول رواية لادموند في ٣٥٠ صفحة كلها ذكريات أو صور في ألبوم تقلبه جيانا بطلة الرواية · · وجيانا (غريبة في نيويورك) ولكنها تترأس تحرير مجلة نسائية كبـــرى وتعيش مع (طنط روزي) خالة زميلتها في المجلة ·

أما جيانا فهى ابنه أشهر أطباء باليرم بايطاليا ، جاءت الى نيويورك للدراسة ثم بقيت بها ٠٠ انها تحاول أن تقيم علاقات ودية بينها وبين الامريكيين ولكن الود يأبى ان يتصل ، تصادق زميلتها بابز ولكن الصداقة تظل خيطا رفيعا واهيا لا متانة فيه فبابز مثال للفتاة الامريكية المشغولة بتحقيق النجاح الشغوفة به مما يجعلها تقيس كل تصرفاتها ، ابتسامتها ، طريقة مشيتها ، ملابسها والحركة والسرعة والجنون فوق ذلك ٠

وتضيق جيانا بتصرفات بابز فتجبرها على الاستماع اليها ٠٠ ويكشف هذا اللقاء عن مغامرة عاطفية لبابز : كانت بمثابة أول تجربة لها وكان الفتى مخمورا وكانا معا داخل سيارة خاصة أضاعا فيها فترة (رائعة) ثم خرجت بعدها وهى (سيدة) ثم توالت المغامرات ٠

وهنا تحس جيانا أنها بعيدة عن بابز كل البعد وغريبة عن هذا الجو كل الغربة ، حتى (طنط روزى) المرأة العجوز التى مازالت تمارس شبابها أو بتعبير أدق مازالت تمارس ماضيها ، لا فرق بينها وبين ابنة أختها التى تمارس حاضرها بافظع ما تكون الممارسة ٠

وفيما عدا بابز وخالتها روزى تلتقى جيانا كل يوم بزميلاتها المحررات بالمجلة وكلهن على شاكلة بابز وروزى ٠٠ فتشعر جيانا فى نهاية الأمر بالسأم والملل والغثيان وتقرر ان تستقيل من المجلة وتعود الى بلدها ٠

(الذكرى هى الجحيم) : بهذه العبارة تنهى ادموند شارل ـ رو أول رواية لها فى عالم الأدب ٠٠ وهى رواية تتحدث عن ذكريات الكاتبة وتدور فى فلك كل (رواية أولى) يكتبها صاحبها فتجىء عبارة عن (ترجمة ذاتية) بحيث تتركز قيمتها الحقيقية فى التأثر والانفعال والصدق كنتيجة للتجربة الخاصة فاذا ما انتهت ذكريات الكاتب وانتهت تجاربه أو مخزونه لجأ الى الخارج ٠

وهنا يواجه طريقين أحدهما مسدود لا يفضي الى عمل ثان ذي قيمة والثاني طريق مفتوح يؤدى الى الخلق والابتكار والاجادة ٠

ولكن القدرة على التعبير والتمكن من استعمال الادوات الفنية ينبأن بأن ادموند تختلف كثيرا عن فرنسواز ساجان مثلا ٠٠ ادموند صاحبة (نسيان بالميرم) اضعف رواياتها وليست فرنسواز صاحبة (صباح الخير ايها الحزن) أقوى أعمالها ٠

جوزيه كابانيس

جائزة رونودو

ولد كابانيس فى مدينة تولوز عام ١٩٢٢ ـ ثم درس الفلسفة وحصل على درجة الدكتوراه في القانون عن رسالة موضوعهـــا (التنظيم وسياسة أرسطو) ٠

كتب كابانيس ٩ روايات جمع ٥ منها في مجلد واحد تحــت عنوان (العصر الغامض) وهي العصر الغامض (٥٢) الاوبرج الشهير (٥٣) جولييت (٥٤) الابن (٥٦) زواج المصالح (٥٨) ونال جائزة النقاد لعام ١٩٦١ عن رواية (بهجة النهار) ٠

اما الرواية التى نال عنها كابانيس جائزة رونودو فهى رواية (معركة تولوز) ٠٠ تقع هذه الرواية فى ١٤٢ صفحة ويوحــي عنوانها لأول وهلة بأنها رواية تاريخية تدور أحداثها حول معركة حربية وقعت فى مدينة تولوز بفرنسا ٠٠ تماما كما أوحت رواية (قصة فرنسية) لنوريسييه بأنها رواية هى الأخرى تاريخية ٠

والواقع أن رواية نوريسييه رواية سيكولوجية كرواية ادموند شارل ـ رو ورواية كابانيس وكل روايات هذا الجيل الذى لايزال ينهل من نبع بروست ، ذلك النبع الذى لا ينضب ولا يجف ٠

ان كلمة (معركة) جاءت تعبيرا عن معركـــة الحياة وليس

معركة الحرب فتولوز مدينة حية مليئة بالحركة والحياة ·· الحياة التى لا تقوم على الصمت والاستكانة ولا تموت بالوقوف والنوم ·· فالضجيج والتنقل والعمل من ضرورات العيش كمــا أن الجهاد للبقاء ·

وعلى هذا فان أحداث الرواية عبارة عن وصف للحياة فى تولوز موطن الكاتب وتصوير للناس فى هذه المدينة التى تختلف تماما عن عداها من مدن فرنسا ·· فالجدية والاستقامة والشهامة صفات يتصف بها مواطنو تولوز يقابلها على الوجه الآخر صفات أخرى من صميم الباريسيين : الدعاية والتهكم والسخرية ·

وقد علق النقاد على هذه الرواية بعبارة واحدة تقول : رائعة ولكنها قصيرة ، رائعة لأنها قطعة حية من حياة الأقاليم الوانهــا تذكرنا ببلزاك وانغامها تحيلنا الى بروست ·· وقصيرة لأن روايات كابانيس كانت كلها طويلة ·

وفى حديث أجرته معه (النوفيل ليتيرير) أجاب كابانيس ردا على بعض الأسئلة قائلا :

ـ ان الصداقة التى يتكلمون عنها فى الكتب كثيرا لا وجود لها فى رواياتى ، فالعلاقات العاطفية تشغل مكانا أكبر من الصداقة ·· أنا لا أحب غير الرجال الذين يعلموننى شيئا والنساء اللاتى أتعلم منهن شيئا ··

ـ الايمان موجود لكنى اتمتع بايمان خاص بى ·

ـ أن أرى وجهى أمر لا يهم ولكن لكى أعرف نفسى لابد أن احبها أولا ·

ـ اننا نذهب الى الموت ولكننا نحتفظ بأسرارنا ·

ـ ان روعة الوجود تنطوى على شىء آخر غير الذى نراه ولكننا لا نستطيع أن نرى هذا الشىء الآخر ·

ـ ان الشهرة التى تمنحها لى هذه الجائزة لا يملكنها أن تغير منى شيئا ٠

هؤلاء هم الثلاثة الذين يمثلون أهم من فازوا بأهم ثلاث جوائز للرواية فى فرنسا مؤخرا ٠٠ ولعلنا قد أدركنا الى أى مدى يتفق الفائزون فى الرؤية ٠٠ فالقالب الروائى والمادة الاجتماعية والمعالجة السيكولوجية والطابع البيوجرافى والدراسة المقارنة بين القديم والجديد وبين العاصمة والضواحى فى البلد نفسه أو بين مدينتين فى بلدين مختلفين ثم التناول الهادف لموضوعات الحياة المعاصرة ٠

كل هذا وكثير غيره يؤكد حقيقة على جانب كبير من الأهمية وهى أن أبناء الجيل الواحد فى البلد الواحد وربما فى العالم كله يشعرون بشعور واحد ويصدرون عن مفهوم واحد ويقودهم فكر واحد هو (الفكر المعاصر) ٠

الأدب الزنجى ٠٠ الفكرة والحركة

ونحن نستعرض قضية الزنوجة والأدب الافريقى المعاصر ، قد نضطر للعودة الى الجذور ، ولكنا سنتناول بالتأكيد أصل هذه الحركة وروادها الأوائل حتى نصل فى نهاية المطاف الى مفهـوم لازال حتى الآن غائما فى ذهن الدارس وغائبا فى ذهن المتلقى ٠

الفكرة الافريقية ٠٠ والحركة الزنجية

فى باريس ، التقى ايميه سيزير وليوبولد سنجور ٠٠ ولخص سيزير هذا اللقاء فى هذه العبارة « عندما تعرفت الى سـنجور احسنست لأول مرة أننى افريقى » ٠٠

وهكذا توحدت الفكرة الزنجية والفكرة الافريقية بعد أن تأكد للجميع أنهما لصيقتان ، فعار الماضى والخوف فى الحاضر واليأس من المستقبل ، كلها عوامل مشتركة بين الفكرتين ٠

انضم راماس وديوب بعد ذلك الى سيزير وسنجور ، وأخذ الأربعة يعملون على تضييق هوة الخلاف والكراهية التى اتسعت فى فرنسا بين زنوج امريكا وزنوج افريقيا ، فاصدروا مجلة محدودة باسم « الكاتب الأسود » توحـد بين جميع السـود على اختلاف جنسياتهم ، فيكفى الأسود أنه ليس أبيض اللون حتى ينضم الى هذه الحركة التى تعد بحق « صحوة الضمير الأسود » والتى دعت فى صميمها الى الاشتراكية سلوكا ومذهبا ٠

يقول سيزير فى احدى قصائده :

جميل وخير وشرعى ٠

ولعل ديوانه « كراسة العودة الى الوطن » هو الذى يلخص تجربته وثورته ، ففيه ومن خلاله يطلق سيزير صرخته الزنجية ، وهى أول صيحة فى طريق هذه الحركة التى نادت بالتحرر الوطنى والقومى ، بدءا من تحرير الأرض حتى تحرير الروح ، ايذانا بميلاد انسان أسود جديد ، كما نادت بازدراء واحتقار كل من يقتدى بالثقافة الاوروبية دون أن يهتم بثقافته القومية ٠٠ ومع هذا لم تفرق الحركة بين الانسان والانسان أو بين الأسود والأبيض ٠٠ فالانسان لا يستطيع الا أن يكون فى النهاية انسانا ٠

ولعل كلمة سارتر التى يقول فيها « ان الزنجية هى اورفيوس الذى يبحث عن أوريديس » لعل هذه الكلمة قد راقت لاصحاب الحركة ففتحت امامهم طريق البحث عن وسيلة لاصلاح حال أممهم وخلق شخصية جديدة لشعوبهم ٠

فاذا كان سنجور وداماس وديوب وسيزير هم الذين قادوا معا الحركة الزنجية من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٤٠ ، فان شعراء وكتابا آخرين قد تأثروا بهم وفى مقدمتهم بول ينجر ورونيه دبيتر وادوار جليسان وبولان جواشان ٠

على أن هؤلاء جميعا بما فيهم الرواد الأربعة الأول لم يعرفوا الزنجية أفضل مما عرفها سارتر بطريقة هيجلية عندما قال انها « الانسان ــ فى عالم ــ أسود » ٠

ذلك ان القيم الحضارية المطلقة كانت وستظل هى العقل بالنسبة للروح والدين بالنسبة للايمان والطبيعة بالنسبة للفن والمادة بالنسبة للعمل والحياة بالنسبة للانسان ٠٠ الانسان الأسود الذى التقى بالحضارة الغربية منذ القرن الخامس عشر ، فأوحت اليه هـذه الحضارة الغربية نفسها بفكرة « الحركة الزنجية » بعد ان انتزع من

افريقيا مايقرب من ١٥٠ مليون أسود خلال أربعة قرون ، بينما لم تلغ العبودية الا منذ مائة عام فقط ٠٠ بعدها استطاع الانســـان الأسود رفع رأسه ، ولسوف يرفعها عاليا،محتفظا بالعبقرية الزنجية التى قوامها ضمير القيم التاريخية وشعور الانسان الأسود بالعظمة ٠

ويعود سارتر فيقول فى مقدمته لارفيوس الأسود : ان الجنس لا دخل له بالرؤية الزنجية ، فالانسان الأسود لا يتكون من روح أو جوهر يختلفان عن روح وجوهر سائر الناس ٠٠ فهو يعيش وســط البيض ، يعمل ويفكر مثلهم ، يتكلم لغتهم ويضيف الى تراثهم أدبا وفنا ٠

ثم يشرح معرفا الزنجية على أنها « طريق محدد فى الحياة وسلوك خاص وسط عالم مختلف ومغاير ٠٠ وهى اختيار مفروض ومرفوض فى الوقت نفسه ٠٠ ذلك أن « الزنجية » اذا كانت ميراثا فهى ليست حضارة ، وعلى الزنوج أو السود أن يستبقوا هذا الميراث وعليهم أيضا أن يحولوا هذا التراث الى حضارة لها معناها وقيمتها وسط الحضارات الأخرى ٠٠ فالانسان الذى لا يملك ان يغير جلده فلا أقل من ان يمنحه البريق والحياة ، سواء أكان هذا الجلد أبيض أم أحمر أم أصفر أم أسود ٠

ليوبولد سيدار سنجـــور

أما الشاعر الرئيس سنجور ، فقد أصدر الى جانب مسرحيته القصيرة الوحيدة عددا من دواوين الشعر يزيد عن ستة دواوين وعددا آخر من كتب النقد والدراسات الأدبية والسياسية ٠٠ وقد نال سنجور درجة الدكتوراه من جامعة السوربون قبل أن يصبح أول

رئيس لجمهورية السنغال ·

يقول فى احدى قصائده المعروفة باسم « نيويورك » :

اصغى الى النبض البعيد الصادر من قلبك الديجورى وايقاع دم الطبول الافريقية

اسمعى : دعى الدم الأسود يانيويورك يجرى فى دمك ·

عساه يزيل الصدأ عن مفاصلك الصلبة ·

عساه يكسب جسورك ليونة الزواحف ·

وعندئذ يعود ما كان فى أقدم العصور ، وتتحقق الوحدة ·

ويحل الوفاق بين الأسد والثور والشجرة ·

ويرتبط الفكر بالعمل والاذن بالقلب والاشارة بالمعنى ·

وتعج انهارك بتماسيح ذات رائحة وجنيات عيونهن سراب ·

وعندئذ لا حاجة بك الى ابتكار جنيات البحر ·

يكفيك ان تنفجر عيناك على قوس قزح الذى يظهر فى ابريل ·

وان تعيرى اذنيك ، فوق كل الاذان ، الى الرب الذى خلق السماء ·

والأرض فى ستة أيام من ضحكة ساكسوفون ·

واستراح فى اليوم السابع الراحة العظمى التى استراحها الزنوج ·

لن يتسع المجال لتقديم نماذج من القصة القصيرة كنوع من الأدب المتطور فى افريقيا ، ولذلك سنكتفى بذكر أهم أسماء كتاب القصة القصيرة وعناوين مجموعاتهم التى قد توحى لنا بالمضمون :

جيمس نجوجى (الريح) كاتب كينـــى فاز بجائزة لوتس الادبية عام ١٩٧٣ ٠

بازيل فبراير (الطرد) كاتب من جنوب افريقيا ، لقى مصرعه فى عمليات قوات روديسيا وجنوب افريقيا عام ١٩٦٧ ٠

ايفوا تيوذورا سدرلاند (الحياة الجديدة) شاعرة وكاتبة غانية ، ولها محاولات فى كتابة قصص الاطفال تعمل استاذة للأدب بجامعة غانا ٠

بلوكى عود يزانى (الرحيل) كاتب من جنوب افريقيا ، يكتب الى جانب القصة القصيرة ، التمثيليات الاذاعية باذاعة لندن ٠

لنيرى بتيرز (الغربة) كاتب من جامبيا ، يكتـــب البرامج الاذاعية الى جانب القصة بعد ان هجر الطب الى الأدب ٠

وهكذا تتضح قضية الزنوجية وان لم تتضح تماما خريطة الأدب الافريقى المعاصر فما هذه المحاولة الا اشـــارات لاضـــاءة الطريق ٠

يقول « بيير ديكس « ان تاريخ الأدب شأنه شأن التاريخ العام يتكون من وقائع مختلفة على الدارس أو المؤرخ أن يجمعها ويخرج منها فى النهاية بفكرة واضحة ومفهوم محدد ٠

ويرى « ديكس » أن الخطأ كل الخطأ يتمثل فيمن يعتقدون أن القرن التاسع عشر قد تم اكتشافه ولا يمكن الخروج منه بجديد ٠٠ وهذا ليس صحيحا على الأقل فيما يتعلق بكبار الكتاب ٠ فهذا ناقد مثل « فيكتور ديل ليتو » استطاع أن يكتشف معطيات جديدة وخطية فى حياة ونشأة « ستندال » ٠٠ وهذا ناقد آخر مثل « رونيه فونفيال » وضع كتابا عن « جوليان سوريل » كشف فيه عن جوانب لم تكـن معروفة عن الرجل من قبل ، ونصل الى « عبيط العائلة » الكتاب الذى وضعه سارتر عن لوبير وحالة أبطاله النفســـية ثم اتفاقهما وحالة المجتمع الفرنسى فى عصر فلوبير وهى حالة القلق والتوتر التى كان يعانى منها فلوبير وبطلته الشهيرة مدام بوفارى ٠

ولعل هذا ما فعله « انطوان آدم » عندما تناول بالدراســـة والتحليل تكوين « رامبو » النفسى والاجتماعى من خلال علاقتـــه الخاصة بالشاعر « فرلين » وعلاقته العامة بأسرته ووطنه والعالم من حوله ٠

وهكذا يعتمد « بيير ديكس » فى دراسته لرامبو على ماسبق أن كتبه « انطوان آدم « عن الشاعر الشهير الشاب ٠

أخيرا رامبو الحقيقى :

تحت هذا العنوان يورد « ديكس » أسماء الكتب التى صدرت

لرامبو وتلك التى صدرت عنه ٠٠ أما أهم ما صدر له فهو ديوان « فصل فى الجحيم » وأهم ماصدر عنه فهو كتـاب « ايتيامبل » ، « أسطورة رامبو » ٠

ولقد كانت حياة رامبو الكاملة تجمع بين شـعره ووجوده وتتسم بالحيوية ، لقد أحدث وجوده ، كما يقول «رونيه شار» ضجيجا عاليا ، حتى أن واحدا مثل « انطوان آدم » قال القوة المتوحشة الكامنة فيه تتضمن شيئا غير انسانى » ٠٠ أما الضجيج الذى أحدثه رامبو فهو فى حياته الخاصة أكثر مما فى شعره ، وان كان قد شارك لوتر بيامون ومالارميه الشاعرين الكبيرين فى اكتشاف نوع جديد من الكتابة الحديثة أثرت اللغة الفرنسية التى يعد رامبو واحدا من كبار كتابها ٠

وخير دليل على ذلك قصيدته المسماه « أحرف » والتى تتحدث عن الأحرف المتحركة ٠٠ فهو يعطى كل حرف منها لونا خاصا ٠٠ فالألف (A) تعبر عن اللون الأسـود ، والـ (B) تعبر عن الأبيض والـ (C) تعبر عن الأحمر ، والـ (D) تعبرعن الأخضر والـ (E) تعبر عن الأزرق ٠

وبعد أربعين عاما من ترجمة الألوان الى أحرف كما رأينا عند رامبو ، نجد بيكاسو وبراك فى محاولاتهما ترجمة الأحرف الى الوان فى لوحاتهما ٠

فصل فى الجحيم :

وينتقل « بيير ديكس » بعد ذلك الى ديوان « رامبو » المعروف « فصل فى الجحيم » والذى صدر عام ١٨٧٣ ٠٠ فيرى أن الديوان كان بمثابة قصة حياة رامبو أو ترجمة ذاتية له ٠ ولكن بالشعر ، على غرار الأدباء الذين يصورون حياتهم عن طريق رواية أومسرحية

أو يوميات أو اعترافات أو حتى بالتاريخ ٠٠ ولعلها أول مرة فى تاريخ الأدب نجد هذا النوع من الترجمة الذاتية وقد نطق بالشعر ٠

أما الروح التى سادت اعترافات رامبو أو قصـــة حياته فى ديوانه « فصل فى الجحيم » فلم تكن « الواقعية » كما يحدث عادة فى مثل هذا المجال من الأدب ، ولكنها كانت « الرومانسية » بـــل واغراقه فى الرومانسية حتى يمكن أن يقال أنه « ترك قلبه عاريا » ٠

ومع هذا وجد البعض أن هذا القلب قد هبط الى مستوى القدم، وذلك فى قصيدة « عذراء مجنونة » التى تناجى الزوج الجهنمى فى اعتراف من أعماق الجحيم :

أوه ، يازوجى الخالد

ياســـيدى

علك لا ترفض اعتراف

اتعس خادماتك

أنا ضائعة

أنا ثملـــة

أنا مدنســـة

يالها من حياة !

هذه القصيدة هى احدى قصائد ديوان « فصل فى الجحيم » وهى تعد احدى الوثائق الهامة التى تؤكد علاقة رامبو بفرلين وتكشف عن طبيعة تلك العلاقة المشوهة غير الطبيعية ٠

ولقد ظل عدد من الدراسين يتصورون أن « العذراء المجنونة » تمثل فرلين بينما « الزوج الجهنمى » يمثل رامبو وهذا خطأ ٠٠ لأن العكس هو الصحيح ٠

أما على المستوى السيكولوجي فيرى « انطوان آدم » ويتفق معه « بيير ديكس » في أن « العذراء المجنونة » هـي روح رامبو

وهذا مفهوم لا يجب أن نحصره في الصـراع التقليدى بين الفضـيلة والرذيلة أو الخير والشـروالذى ينبـع من الديـن أو الأخـلاق الدينية ٠٠ بقدر مايجب أن نرجعـه الى شـخصية رامبو المزدوجة أو المتناقضة والتى تسمى فى علم النفس الحديث بالشيزوفرانيا أى الانفصام فى الشخصية ٠

وهناك علامات دقيقة توضح من خلال علاقة رامبو بفرلين تلك الحقيقة ٠٠ منها الأزمـة التى فاجأت رامبو وعرفت بأزمـة بروكسل ، ومنها العيار النارى الذى أطلقه فرلين على رامبو وأصابه فى قدمه ٠٠

ولعلنا نجد فى تاريخ الأدب حالة مشابهة لحالة رامبو ولكن بلا شذوذ وهى حالة فيكتور هوجو الذى كان يكتب فى أحيان كثيرة نصوصا تحمل معنيين المعنى الرمزى والمعنى الحقيقى أو الواقعى ، تماما كما تحمل قصيدة « عذراء مجنونة » وغيرها من قصائد ديوان « فصل فى الجحيم » ٠

ونصل الى الخطابات المتبادلة بين رامبو وفرلين فنقع على رسالة بعث بها فرلين الى رامبو فى مايو ١٨٧٢ يخبره فيهـا عن عودته ٠٠ وهى عودة مزدوجة بمعنى العودة من سفر والعودة الى العلاقة بعد فترة انقطاع ٠٠ ثم نقع على عدة رسائل من رامبو الى فرلين أهمها رسالة بعث بها رامبو الى فرلين فى ٤ يوليو ١٨٧٣ وقد ظهر فيها رامبو كالفأر الجبان يتوسل الى القط المتوحش ٠٠ ورسالة فى اليوم التالى جاء فيها :

« وبعد ذلك عد بذاكرتك الى ما كنت عليه قبل أن تتعرف الى »

بعدها بخمسة أيام فقط وقعت أزمة بروكسـل التى انتهت بالعيار النارى الذىاطلقه فرلين على رامبو ٠

ولكن اغلب الظن أن ديوان « فصل فى الجحيم » كان قد كتب بكل قصائده قبل أزمة بروكسل ٠

فاذا استطعنا أن نستخلص من هذا الديوان الى جانب الرسائل المتبادلة شيئا كثيرا وله قيمة عن حياة رامبو فان « اعترافات طفل من نهاية القرن » التى كتبها رامبو هى خير سبيل الى تلك الحياة الصاخبة الثرية أدبيا وعلى مستوى البشر » ٠

ولعلنا هنا نستعيد مرة أخرى عبارة « رونيه شار » كاملة والتى تقول « من يأت الى الحياة دون أن يحدث ضجيجا لايستحق أن يطلق عليه لقب انسان » ٠

التحــــرر :

ونشير الى « نثر رامبو » الذى لم يلتفت اليه كثيرا على اعتبار أن رامبو قد عرف كواحد من المع شعراء عصره بل ومن المع شعراء التاريخ ٠٠ فقد كان أيضا واحدا من أكبر مجددى اللغة الفرنسـية فيما يتعلق « بالنثر الحديث » وخاصة من خلال رسائله الى فرلين ٠٠ ومع هذا فان رامبو نفسه كان دائما ما يعتقد أن الشاعر والشاعر وحده هو مرشد الانسانية فى مسيرتها نحو المستقبل ٠

ولهذا كان دائما ما يتشدق بالشــــعر ويحبه ويريد أن يكون شاعرا ٠٠ ففى رسالة بعث بها وهو فى السابعة عشرة من عمره الى ايزمبارد يقول :

« أنا غاضب ٠٠ وسوف أحقق ما لم تحققه أنت فى الشعر ٠٠ أريد أن أكون شاعرا وسأظل أعمل حتى أكون عرافا ٠٠ »

فالشعر عنده هو الرؤية والمعرفة المبكرة والنبوءة الصادقة ، وقد أحس رامبو وهو بعد فى سن الصبا أنه انسان غير عادى وأنه قادر على الرؤية من خلال الشعر ٠

وهكذا استطاع رامبو أن يقنع نفسه بتلك النظرية الشعرية وعمل جاهدا منذ البداية على أن يقطع شوطا طويلا لكى يحققها عمليا وان لم يمهله الزمن عمرا أكثر من ٣٤ عاما حتى يزداد انتاجه ٠

على ان الكثيرين من نقاد الشعر ومؤرخى الأدب ومنهم « أنطوان آدم » و « بيير ديكس » قد وجدوا أن رامبو كان قد انتهى كشاعر بعد ديوانه العظيم « فصل فى الجحيم » وعاش بعده سنوات لم يفعل فيها شيئا ولو عاش أكثر من ٣٤ عاما لما قدم شيئا يذكر للأدب ٠٠ انه شاعر الديوان الواحد مثل آلان فورنييه الذى مات فى سن الثلاثين وكان كاتب الرواية الوحيدة باسم « مون الكبير » والامثلة على ذلك قليلة ٠

بعد « لوليتا » ظهرت رواية جديدة للكاتب الروسى الأصـــل الامريكى الجنسية « فلاديمير نابوكوف » ٠

أما رواية نابوكوف الجديدة فاســـمها « آدا » وقد بدأت فى احداث ضجة قد لا تقل فى المستقبل القريب عن تلك الضـــجة التى احدثتها « لوليتا » خاصة بعد ان بدأت السينما الأمريكية فى انتاجها لتعرض على شاشة السينما ٠

ونابوكوف له ٢٩ رواية ومع هذا لم تعرف غير روايته المعروفة لوليتا لمجرد أنها قدمت على شاشة السينما ٠٠ والواقع أن رواياته الأخرى التى لم تنل حظا من الشهرة ، لاتقل قيمة عن « لوليتا » وربما فاقتها فكرا وفنا ٠٠

ونابوكوف يقيم فى الوقت الحالى بسويسرا هو وزوجته «فيرا» التى لا تفارقه على الاطلاق ٠

والغريب أن نابوكوف الروسى تلقى دراسته بجامعة كمبريدج الانجليزية ثم أقام بالولايات المتحدة الامريكية ونشـر بهـــا معظم أعماله ٠٠ ثم اقترب من فرنسا فى فترات متقطعة اثناء اقامتـه بسويسرا ٠٠ ولهذا فهو يجيد الروســية والانجليزية والفرنســـية ولهذا أيضا يشرف بنفسه على ترجمة أعماله الى اللغات المختلفة ٠٠ وقد ظل أربع سنوات كاملة مشغولا بترجمة روايته « آدا » الى اللغة الفرنسية ، فى الوقت الذى تولى ابنه مغنى الاوبرا المقيم بايطاليا ، ترجمة الرواية الى الايطالية ٠٠ ولم يصدر نابوكوف الرواية باللغة

الانجليزية الا بعد أن انتهى من الاشراف على ترجمتها الى هذه اللغات الأخرى ٠

ويعترف نابوكوف بأنه تأثر بجيمس جويس وخاصة بروايته المعروفة « اوليس » كما تأثر بكافكا وخاصة بروايته الشهيرة « التحول » ٠٠ وتأثر نابوكوف أيضا ببروست وخاصة بالجزء الأول من مسلسلته الروائية « فى البحث عن الزمن الضائع » ٠

ويشير نابوكوف الى اثنين من الروائيين المعاصرين مبديا اعجابه بما قدماه من جديد فى عالم الرواية ٠٠ مواطنه الروسى « سولجنستين » الذى ترك الاتحاد السوفيتى مثله و « روب - جرييه » الفرنسى الذى لم يترك فرنسا ٠٠ ومن بين الروائيين السوفييت المعاصرين لا ينكر نابوكوف اعجابه وتقديره للكاتب الشاب « سيرين » الذى ظل يكتب على مدى عشرين عاما ثم كف عن الكتابة تماما ٠٠ والذى لا يعرفه الكثيرون حتى الآن أن « سيرين » هو نفسه نابوكوف ، وأن نابوكوف ظل يكتب بهذا الاسم المستعار الذى يعنى « العصفور الشاعرى المتعدد الألوان » الى أن غادر الاتحاد السوفيتى وتجنس بالجنسية الأمريكية ٠

ورغم أن نابوكوف قد ترك الاتحاد السوفيتى منذ فترة طويلة الا ان « الانسيكلوبيديا الكبرى » التى تصدر كل عام فى الاتحاد السوفيتى لم تذكر نابوكوف الا مؤخرا ولكنها ذكرته بالتقدير والاحترام ٠٠

وقد ارتفعت نسبة القراء السوفييت لأدب نابوكوف فى السنوات الاخيرة ، حتى أن رسائل كثيرة بدأت تصل الى نابوكوف بانتظام ٠٠ وتؤكد هذه الرسائل أن أصحابها يقرؤن أعمال اديبهم المفضل بالانجليزية كلما تعذر صدور هذه الأعمال باللغة الروسية ، أما الطبعات الانجليزية فلا تباع بالمكتبات ولا تعترف بها السلطات

ولكنها تباع فى السوق السوداء خفية كما تقرأ خفية ٠٠ ولعل الأوضاع تكون قد تغيرت بعد ثورة جورباتشوف السلمية الأخيرة ٠

أما رواية « آدا » فتصور أحداثها فى مدينة خيالية لا يستطيع القارىء أن يحدد ملامحها ، هل هى الاتحاد السوفيتى أم أنها الولايات المتحدة الامريكية ٠٠ وفى هذه المدينة تعيش أسرة يتخفى أفرادها وراء « ستار ذهبى » خوفا من الاختلاط وحرصا على سلامة السلالة وأصل النوع ٠٠

وبهذا المعنى تصبح « آدا » بطلة الرواية وأبرز أعضاء هذه الأسرة الخيالية الغريبة ، عبارة عنترجمة ذاتية لحياة الكاتب أو هى قصة حياته الموزعة بين روسيا الوطن وأمريكا الموطن ٠

والرواية تجربة جديدة فى أدب نابوكوف كله وهى تتناول جديثا لموضوع قد يبدو قديما ومستهلكا ، الا أنه الموضوع المطروح أبدا والذى لا يجد تحليلا نهائيا أو حلا أخيرا حتى الآن ٠

ورغم أن الرواية تعد « ترجمة ذاتية « الا أن نابوكوف يود لو أن القارىء استطاع أن يفصل بين حياة الكاتب وأدبه ، حتى يستطيع أن يستمتع بالأدب دون أن يشغل باله بالحياة ، حياة الكاتب ٠٠ وقد يفيد هذا الربط بين حياة الكاتب وأدبه الدارسين والنقاد وحدهم ٠٠

تلك هى رغبة نابوكوف ولكنها الرغبة المستحيلة ، وخاصة فى العصر الحديث عصر القارىء الذى يعرف كل شىء عن كاتبه المفضل ، أو أى كاتب يقرأ له ٠٠

فى سبتمبر عام ١٩٦٦ انتهت حياة آنا اخماتوفا أشهر شاعرة فى الاتحاد السوفيتى ، اذ تعد أحد الأربعة شـــعراء السوفييت العظام وهم ماندلستام وزفيتايفا وباسترناك ٠

وقصة حياة آنا أخماتوفا قصة حياة فنانة مرهفة الشـعور ، عاشت أثناء تلك الفترة العصيبة فى تاريخ وطنها وهى ســـنوات الثورة السوفيتية ، وتأثرت بها ٠٠ ومثل غيرها من بعض الفنانين فكرت فى الهجرة ، لكنها تراجعت ٠٠

وفى « الصلاة الجنائزية » وهى من أهم ما كتبت ، عبرت آنا عن فخرها بأنها لم تلجأ الى أراض غريبة ٠٠ فقد فضلت بالرغم من كل شىء أن تمكث فى وطنها تمارس التجربة كاملة مع شعبها ٠

واذا كان موقف أنا أخماتوفا فى بداية الثورة الســـوفيتية ، موقف استهجان واستنكار للحكم الثورى ، الا أنها بعد ذلك ـ وكما يتضح من أشعارها ـ اعترفت بالانجازات الهامة التى حققها شعبها بعد الثورة ٠٠ ومن ناحية أخرى بدأ المسئولون يهتمون بها وبأشعارها بالرغم من رفضهم المستمر حتى الآن الافراج عن قصيدتها الشهيرة « الصلاة الجنائزية » ٠

وحينما توفت أخماتوفا ، نعتها الصحف السوفيتية بحـــزن بالغ ، بل أن اتحاد الكتاب الذى رفضها وطردها من عضويته عـام ١٩٤٦ ، والذى عاد وانتخبها لرئاسته بعد ذلك قال عنها : « لقـــد كانت شاعرة روسية سوفيتية مرموقة ٠٠ كرست حياتها بكل نبـــل

لخدمة الشعر الروسى وخدمة وطنها » .. وأشار اتحاد الكتاب الى أشعارها العاطفية والوطنية باعتبارها أعمالا فنية مجيدة ، وأوضح أهمية ترجماتها لأعمال الشعراء غير الروسيين والشـــعراء الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ، والشعراء الأجانب .. وفى نهاية المقال قالوا : « ان اسمها وأعمالها الخلاقة سوف تعيش بيننا الى الأبد » .

وقال عنها كونستانتين بوستوفسكى : « انها ملكة الشعر،امرأة مثيرة للاعجاب ، انسانة شجاعة والحق أن أخماتوفا تمثل عصرا بأكمله من عصور الشعر الروسى » .

ويفخر الكس سيركوف أحد أعضاء اتحاد الكتاب الذى طرد أخماتوفا عام ١٩٤٦ بأنه كان أول من فك الحصار المضروب حول أشعارها ، ونشر قبل وفاتها بأربع سنوات بعض أشعارها الممنوعة من النشر .. والواقع أنه فى تلك السنوات كانت الصحف والمجلات السوفيتية تتسابق فى نشر أشعارها .. وفى ميونيخ نشرت مجموعة أعمالها المرفوض نشرها فى الاتحاد السوفيتى ومنها « الصـــلاة الجنائزية » ، ولكن بدون معرفة أو موافقة أخماتوفا .. ولقد ثارت أخماتوفا حينما رفضت السلطات أن تنشر لها « الصلاة الجنائزية » فقالت ان مجموعة تلك الأشعار سوف تنشر حتما فى يوم ما ، تماما مثل رواية باسترناك « دكتور زيفاجو » .

ولكى نتعرف على أخماتوفا ينبغى أن نتعرف أولا على أشعارها .. فحول ماذا تدور أشعار أخماتوفا ؟

انها تدور حول الحب والحرب والثورة والوطن والشعب .. أما كيف تدور ، فهذا هو المهم وهذا ما سنحاول معرفته .

ظهر أول ديوان للشاعرة السوفيتية عام ١٩١٢ تحت عنوان « المساء » ثم تلاه ديوان آخر بعد عامين وكان عنوانه « السبحة »

وما أن كان يصدر لها ديوان حتى يحفظه الناس عن ظهر قلب،ذلك أن قارىء أشعار (أنا) لا يجد صعوبة فى حفظها ، بل يجد نفسه قـد حفظها بالرغم منه ، فهى تنفذ كالهواء داخل الرئتين وكالايمان داخل القلب ٠

أن قصائد (أنا) المتحدة فيما بينها تتتابع كأنها فقرات فى قصيدة واحدة تتحدث عن قصة واحدة هى دائما قصة الشـــاعرة الخاصة ٠ فكل كلمة وكل صورة انما ترتبط عندها بذكرى محددة بحيث لا تستخدم الا للتعبير عن هذه الذكرى دون غيرها من الذكريات ٠٠ الذكريات العديدة فى حياة أنا العريضة ٠

غير أن الشاعرة لا تثقل على قارئها بالدخول فى تفاصـــيل تجاربها ، فهى تكتفى بالتلميحات والرموز والايحاءات والاشارات بدلا من الاسترسال فيما لا يهم القارىء ٠٠ وهى لا تلجأ الى الأسلوب المباشر وان كانت تميل دائما الى المصارحة كما أنها لا تتحـدث عن المشاعر والعواطف لذاتها بقدر ما تتحدث عن تأثيرها فى العالـــم الخارجى ٠

ان أهم ما يميز اشعار (أنا) انها لا ترتكز على الكلمات المجردة أو الكلاشيهات فهى تقوم أساسا على اللغة اليومية لا اللغة الخاصة والاسلوب الدارج لا الأسلوب الغنائى ٠ هذه الأشعار تتحدث دائما بأسلوب المخاطب ، كما أن الافعال دائما ما تكون فى الزمن الحاضر أو الماضى البسيط مما يدل على أن التعبير يولد مع التجربة أو يتبعها بفترة قليلة ٠ فالشاعرة سريعة التأثر ، سريعة الانفعال لا تختزن تجاربها لذا فانها تعبر عنها فور حدوثها ٠

و (أنا) تكتب عن الحب ، تكتب عنه فى وقت السلم لتقــول انه أمن الحياة وسعادتها ، وتكتب عنه فى وقت الحرب لتقول أنــه الخلاص ٠

ويقول بوريس فيليبوف فى مقدمته لأعمالها المرفوضة والتى نشرت بميونيخ ان لينجراد تتردد كثيرا فى قبول أشعارها ، والواقع أن بترسبورج وليست موسكو هى التى تمثل التقاليد الروسية القومية الحقيقية ٠٠ ان بترسبورج قد احتضنت وأوحت الى شعراء روسيا العظام امثال بوشكين وجوجول ودوستويفسكى واتنسكى وبلوك واخماتوفا باعمالهم الخلاقة ٠٠ وأيضا الموسيقيين أمثال جلينكا ، وماسورجسكى ، وكورساكوف ، وبروكوفييف ٠٠ ثم يقول ان شعر اخماتوفا ينتمى ويتأثر بالاعمال النثرية الروسية فى مجال القصة فى القرن التاسع عشر ٠٠ وقال عنها الشاعر أوسيب ماندلستام : « كان من الممكن جدا عدم وجود أخماتوفا ، اذا لم توجد آنا كارنينا لتولستوى واعمال تورجينيف ودوستويفسكى وليسكوف الى حد ما » ٠

ولكن جليب ستروف كاتب مقدمة النسخة الانجليزية للأشعار ذاتها يختلف مع فيليبوف ، اذ يقول انه يظهر فى أعمال أخماتوفا وزوجها نيكولا جاميليف التأثر الواضح بأشعار بوشكين ٠

ومعظم أشعار (آنا) عن الحب كتبتها قبل الثورة السوفيتية ٠ وقد ثار عليها الهجوم عام ١٩٤٦ من أجل تلك الأشعار ٠٠ ومنها قول احد الكتاب عنها « انها مزيج من الراهبة والعاهرة » ٠٠ فكل اشعارها تدور حول مولد الحب ، مباهج الحب ، ذكريات الحب ، الشعور بالندم ، رغم انها تنبض جميعا بالكبرياء ٠٠ والحب عند اخماتوفا تجربة متنوعة ضرورية ومثيرة ٠٠ تجربة تمتزج فيها الاحتياجات العقلية بدرجة اقل من الاحتياجات الجسدية ٠٠ ويبدو أن معظم تلك الأشعار العاطفية تصور تجربة الحب والحياة مع زوجها جاميليف ٠

ثلاثة اشياء يحبها فى هذا العالم ٠

اغنية المساء

ألطاووس الأبيض
خرائط أمريكا البالية
لكنه لا يحب بكاء الاطفال
ولا مربى التوت
ولا هستيريا النساء
وأنا ٠٠ أنا ٠٠ زوجته ٠

وقبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ نشرت أخماتوفا مجموعة أشعار عن روسيا تعكس قلقها من الحرب العالمية الأولى ٠٠ وفى ذلك الوقت كانت بترسبورج قد أصبحت مدينة المجد ٠٠ وكانت اخماتوفا ترجو فى أشعارها أن تتحول تلك السحب السوداء المخيمة على سماء روسيا الحزينة الى سحب بيضاء من أشعة المجد ٠

واستمرت أخماتوفا تكتب بعد الثورة ٠٠ ولكنهـــا لم تنشـــر أشعارا جديدة فى الفترة من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٤٠ ٠٠ أمـــا « الصلاة الجنائزية » أشهر أشعارها فقد بدأتها فى ثلاثينيات هذا القرن ٠٠ وهى تصور مدى فزعها من حكم ستالين وحزنها على ابنها الوحيد الذى قبض عليه ٠٠ وجميع تلك التصورات والمفاهيم مصاغة فى تراجيديا انسانية مريرة ٠

وقامت الحرب العالمية الثانية ٠٠ فتلاشت تجاربها الشخصية وأحزانها الصغيرة فى مأسى تلك الحرب الجماعية ٠٠ فى هذه الفترة كتبت اخماتوفا قصيدتين رائعتين يتضح فيهما الشعور بمأساة باريس التى احتلها الالمان والهجوم على لندن ٠

الآن يكتب الزمن بيده القاسية ٠
مسرحية شكسبير الرابعة والعشرين ٠
أما أشعارها الأخرى عن بلدهـــا ، فقد كانت تنبض بالعطف

والحب لقتلى لينتجراد ، والأطفال الأبرياء المشردين ، والثورة على عملية الغزو المجنونة التى اكتسحت لينتجراد والتى حققت النصر فى النهاية ·· تماما كما يبدو فى قصيدة لها أسمتها « الشجاعة » ·

وفى طشقند حيث كانت تعيش أخماتوفا كتبت فى ذكرى الطفل اللينتجرادى الصغير فالياسميروف الذى قتل أثناء الحصار تقول :

احضر لى حفنة من مياه نيفا النقية ·

لاغسل آثار الدماء ·

من على رأسك الذهبية ·

وبعد سنوات طويلة من الصمت ، تكلمت أخماتوفا ·· وتعتبر السنوات العشر الأخيرة من حياتها ذات أهمية خاصة حيث كتبت مجموعة أشعار رائعة وهى فى سن الخامسة والستين ·· وقد كتب البروفيسور ستروف عن هذه الظاهرة يقول « انها مولد ثان للشاعرة الكبيرة » ·

وتصور تلك الأشعار ذكرياتها عن الماضى ·· وعن المدن التى عاشت فيها طفولتها وشبابها ·· وبين طيات سطورها تظهر الحكمة والجدية التى أصبحت تنظر بهما ، وبهما وحدهمـــا الى الحياة ، حياتها وحياة كل الناس ·· كما تغلب على هذه الأشعار افكارهـــا عن الموت وخاصة فى قصـــيدة « عدت الشـــاعر » فكانما كانت آنا اخماتوفا تتنبأ بالقدر ، قدرها هى ، هى « آنا اخماتوفا » شاعرة « الصلاة الجنائزية » ·

الفراش المهزوم ·· والروائية ساجان

(الفراش المهزوم) للكاتبة الفرنسية الشهيرة (فرنسواز ساجان) تعد اول رواية كلاسيكية لها بل و (راسينية) نسبة ألى الكاتب المسرحى (جان راسين) الذى تعشقه ساجان ·· فهى فى هذه الرواية تلتزم بوحدة المكان – غرفة نوم – ووحدة الحدث – علاقة حب جافة ومنتهية – ووحدة الزمان – اربع وعشرون ساعة – وشخصيات محدودة – البطل والبطلة واثنان يمثلان الكورس أو الشخصيات المساعدة ·

ورغم هذه الكلاسيكية المتعمدة فان الرواية تسبح فى جو رومانسى مثل ذلك الجو الأثير لدى (ساجان) وشخصياتها التى تمثل نماذج متنوعة تبدأ من سن المراهقة حتى سن الشيخوخة ·

البطل (ادوار) مؤلف مسرحى شاب يصادفه النجاح فى أول عمل يقدمه للمسرح الطليعى ، يلتقى ببطلة الفرقة (بياتريس) التى تكبره سنا ، فهى فى الخامسة والثلاثين أو الأربعين ، ولكنها جميلة وفاتنة ومشهورة أيضا فى السينما والتليفزيون ··

يقع (ادوار) فى حب (بياتريس) ويتعلق بها الى درجة الجنون ، بينما تحاول هى – أن تشفق عليه ·

ومرة اخيرة تحاول (بياتريس) ان تكشف له بموضوعية لم تعهدها ، عن وضعها الاجتماعى وعن سلوكها الشخصى وعن ضحاياها من الرجال الذين تستبدلهم كما تستبدل ثيابها ·· ولكن الفتى لا يتراجع لأنه قد أحس بأنها تبادله الحب ولذلك تخشى عليه من نفسها وتفضله على (أنانيتها) و (اللامبالاة) التى عرفت بها واصبحت من صفاتها المميزة ·

وأمام هذا الاصرار تستسلم له المرأة وتسلمه نفسها دون أن تسلمه روحها بغير غش ولا خداع فهى صريحة وواضحة ٠

ويدرك (ادوار) ان الحب ليس هو الجنس فحسب ولكنه كائن حى يعيش بالوفاء والثقة والاحترام والمودة وكل ما يمكن أن يضحى به كل طرف فى سبيل سعادة الطرف الآخر ٠

وهكذا ينهزم الفراش أو هكذا تنتهى رواية (الفراش المهزوم) ٠٠ انها قصة امرأة تبحث عن الرغبة وربما الحب ورجل يبحث عن الحب والسعادة معا ٠٠

فرواية (الفراش المهزوم) شأنها شأن كل روايات (ساجان) توحى بأنها (عيادة طبيب نفسى لعلاج آلام القلوب المحطمة سواء بالدواء المسكن أو بالعمليات الجراحية) فهـــى (طبيبة قلب) أو (جراحة قلب) تعنى بالطبقة الوسطى ، تلك الطبقة التى لا يزعجها ولا يضج مضجعها غير (الحب) ، بلا مشاكل اجتماعية أو انسانية أخـــرى ٠

وقد تعيب هذه النظرة الضيقة للحياة قيمة (ساجان) كروائية وأديبة معاصرة ، ولكن ما يغفر لها هذا العيب هو صدقها فى التعبير عن طبقتها المترفة ومجتمعها المغلق ، حتى أن بعض النقاد وأساتذة علم الاجتماع وجدوا فى أعمالها (تاريخا) أو (تأريخا) لمجتمع وطبقة فى عصر أو نصف عصر من خلال أكثر من جيل فى أكثر من مرحلة اجتماعية وسياسية واقتصادية وحضارية ، فى فرنسا أولا ثم فى أوروبا بصفة عامة ٠

ويخطىء من يظن او يحكم بان (فرنسواز ســاجان) هـى (صباح الخير ايها الحزن) دون ان تكون (قصر فى السويد) أو (هل تحبين برامز) أو (دقات قلب) أو (الفراش المهزوم) على سبيل المثال ٠

« ايضاحات » هو عنوان آخر ديوان للقصاص الشاعر الفرنسى المعاصر « ميشيل بوتور » والجديد فى هذا الديوان أن كاتبه يعتبره مجموعة مقالات ·· كما أن الناقد « رودو » فى كتابه « ميشيل بوتور أو كتاب المستقبل » لا يميز فى تعرضه لهذا الديوان بين القصة والشعر مما يجعلنا نعتقد أن كتاب المستقبل سيضربون عرض الحائط بالتصنيف المعتاد لفنون الأدب التقليدية من قصة وشعر ومقال ومسرحية ·

وقراءة هذا الديوان ـ القصة ـ يجب أن تتم داخل اطار انتاج « بوتور » العام وبالتالى داخل اطار الشعر الحديث الذى يحاول عن طريق البنيان الملائم لهيكل القصيدة ومطابقة هذا البنيان للموضوع واللهجة العامة للنص ، أن يضفى على نص شعرى واحد عدة معان مختلفة · وتلك القصة ·· أو تلك المجموعة من القصائد : عبارة عن بيانات توضيحية لصور غنائية مكانها محدود ببياض ·· وتلك الصور ·· كانت يوما ما توضيحا لنصوص أدبية كانت بدورها ناقصة ولكنها وضعت أصلا لتوضيح تلك الصور ·· ويلعب الترتيب الطباعى والتلاعب بالفراغ الأبيض والطباعة السوداء دورا هاما فى تفهم النص ، فنحن نجد فى الصفحات الأربع الاولى من الكتاب وهى المخصصة لتوضيح منظر محطة « سان لازار » المكتظة بالمسافرين فى الصباح الباكر ·· نجد أن النصوص متفرقة ·· تفصلها فراغات بيضاء ومطبوعة بطرق مختلفة ·· بعضها باتجاه افقى ·· وبعضها باتجاه رأسى ·· وبدون تسلسل ، ولا سبيل لتجميعها الا بتشابه

الاتجاهات وحروف الطباعة · والنصوص ذات رنين موسيقى ·· ووقع وقفزات انطباعية خاصة بالشعر وحده · ولا يمكن لأى وصف أن يحل محل قراءة الكتاب فى طبعته الاصلية ·· فهو يعتمد اعتمادا كليا على التنظيم التبوغرافى ·

ان آخر مؤلفات الكاتب الفرنسى الشهير ميشيل بيتور ، وهى « ٠٠٠ر٨١٠ر٦ لتر ماء فى الثانية » ، ليست رواية بالمعنى المعروف كما أنها ليست كتابا بالمعنى المتفق عليه ·· ولكنها رؤيا ، ان صح هذا التعبير · فبيتور لا يكتب سطورا ولكنه يملأ مساحات ·

ولقد شرح طريقته هذه كما طرح قضية الواقعية ، فى روايته الأولى « جدول ١ » ، فتناول القضية تناول العالم الطبيعى الذى يلاحظ الظواهر الطبيعية ويدونها بعين الخبير الباحث فى هذا الفرع أو ذاك من فروع العلم ·

ولما كان الضمير الانسانى لا يمكن أن يطابق الوجود الحى فان قيام واقعية مطلقة أمر مستحيل لا فيما يظهره الضمير ولا فيما تظهره المادة · فبيتور على عكس كتاب الرواية الجديدة فى فرنسا ، يرى « أن الانسان لا يمكنه أن ينفصل بسهولة عن الزمن انفصالا تاما » ، لأنه اذا كان الزمن حقيقة موجودة فى العالم تماما كوجود الانسان فان تلك الحقيقة لا تملك أن تتصرف وحدها وتدور فى المطلق كما كان يعتقد كتاب الرواية الكلاسيكية ·

لذلك نجد أن بيتور وهو يجعل بطل الرواية الجديدة يقاوم تلك الحقيقة ، التى هى الزمن ، ويحاربها حتى يصـــرعها انما يدعو الانسان ، فى واقع الأمر ، الى اعادة بنائها من جديد ·· وبتعبير آخر فان الزمن ليست له قيمة فى حد ذاته ولكنه يستمد قيمته من التصاقه المباشر بالحياة واحتكاكه الدائم بالواقع البشرى ·

لهذا كله يجد بيتور نفسه مضطرا الى البحث عن أدوات

تصلح للتعبير عن هذا التداخل العجيب بين « الوجود والزمن » فمرة يلجأ الى الاطار التاريخى على طريقة فوكنر ، ومرة يلتمس الدقة فى التحليل حتى يصور الأشخاص والأشياء والمواقف تصويرا يكاد يكون فوتوغرافيا ، ومرة يكتشف طريقة التجميع التشكيلى ويضعها فى اطار تركيبى خالص ٠

وفى « جدول ٢ » شرح بيتور نظريته هذه باستفاضة أكثـر وتعمق أكبر ، وأخذ يحطم التقاليد التى بليت بحيث شمل تحطيمه طريقة الكتابة والقراءة ، فبدلا من أن يبقـى على طريقـة القراءة المعروفة من الشمال الى اليمين ومن أعلى الى أسفل نجده يدعـو القارىء لأن يدور بعينيه فى الصفحة رأسيا وافقيا وأحيانا بميل شديد كذلك فانه يجعل القارىء يتنقل بعينيه مرة بين الهوامش ومرة أخرى بين الحواشى وهكذا ٠٠ فعنده ان الكتاب لا يفترق فى شىء عن الكاتدرائية أو المدينة الساهرة التى يزورها المرء لأول مرة ٠٠٠ فهو ينبهر بها ويحاول أن يتعرف عليها فى « جولة عين » وهو لهذا لا يركز على شىء ولا يتلمس الدقة والترتيب فى معرفة أى شىء ٠٠ انها رؤى ولمحات ٠

و « ٦ر٨١٠ر٠٠٠ لتر ماء فى الثانية » ماهى الا صورة عامة من شلالات نياجرا ، تعطى فكرة عما تعنيه تلك الشلالات فى حد ذاتها وعما تعنيه بالنسبة للآخرين ، فطولهـا وعمقها وارتفاعهـا ومساقطها وتاريخها ومعناها الانسانى والأسطورى والشاعرى كلها أشياء يذكرها بيتور فى كتابه ، أحيانا بطريقة موسيقية وأحيانا بطريقة روائية ٠٠ يعرضها عرضا وصفيا كما يعرضها عرضـا دراميا ٠٠ ويمتزج كل هذا فى النهاية ليقدم لنا شعرا خالصا تضيع فيه ملامح الكتاب ، بمعناه التقليدى ، ويصبح عبارة عن « جـولة فنية » ٠

ويصف بيتور نياجرا من خلال نظرة شاتوبريان لها ، ذلك

انها كانت بالنسبة للرومانسيين رمزا للطبيعة الصامتة الموحية كما كانت رمزا للطبيعة الثائرة المفزعة ٠٠ اى انها كانت رمزا للطبيعة التى يقال عنها « أم حنون وقبر موحش » فى وقت واحد ٠

ويقسم بيتور مؤلفه الى اثنى عشر جزءا خصص كل جــــزء منه لفصل من فصول السنة فمن سنابل ابريل التى ترمز للزواج الى ضباب ديسمبر الذى يرمز للترمل ٠٠ وهكذا ٠٠ وهذه الاجـــزاء عبارة عن اثنتـــى عشرة حركة من الحركات الســـيمفونية حيث تحكى كل حركة منها قصة واحد من الأفراد أو مجموعة من الناس ٠

أما نقطة الضعف فى المؤلف فتنحصر فى أنه يضحى بالفرد فى سبيل تقديم المجموع وبالمضمون الانسانى فى سبيل البناء الشكلى أو الزخرفى ٠٠ وهكذا يتحول العمل الأدبى أو الفنى الى باليه أو أوبرا ٠٠ الفرد فيهما ليس أكثر من نموذج خشبى أو قطعة شطرنج يتحرك بلا وعى ولا ارادة ٠

ولكن بالرغم من نقطة الضعف الخطيرة هذه نجد أنفسنا ونحن أمام عمل بيتور الجديد غير قادرين على مطالبته بأكثر مما قدم لنا ٠ يكفينا أنه اكتشف فن القول والتعبير بطرق مختلفة ٠٠ لأنه وهو يعلمنا كيف نقرأ بطرق متعددة يعدنا فى الوقت نفسه لكى نفكر أيضا بطرق متعددة ، أى يعدنا لأن نكتشف شيئا ما ، فى يوم من الأيام ٠

وهذا ما يجعل من ميشيل بيتور طليعيا انتحاريا بمعنى أنــه يتحسس الطريق فى الظلام ويتخبط من أجل أن يسير فيه الآخرون بلا تخبط ولا ظلام ٠

الحب فى تاريخ فرنسا ·· جى بريتون

« قصص الحب فى تاريخ فرنسا » كتاب ضـــخم يتكون من عشرة أجزاء ، كل جزء يقع فى ٣٧٥ صفحة من القطع الصغير ، طبعة « كتاب الجيب » المعروفة والشعبية ·· وتضم الاجزاء العشرة مالا يقل عن ثلاثين قصة حب أثرت فى تاريخ فرنسا منذ العصـــور الوسطى وعهد شارلومانى حتى عصر نابليون وقرننا العشرين ·

وقد ظهرت أجزاء الكتاب فى باريس تباعا وعلى امتداد عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ تحمل اسما لم يكن معروفا من قبل هو اسم « جـــى بريتون » ·

الحب الذى صنع التاريخ :

تحت هذا العنوان يسرد المؤلف فى الجزء الأول من كتابـــه احداث قصص الحب التى وقعت فى فرنسا فيمـــا بين عامى ٤٩٢ و ١٤٥٠ م ·

أما القصة الاولى فهى عن الملك كلوفيس الذى حكم فرنسا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، فأخذ يبحـــث عن زوجة لتشغل لقب ملكة فرنسا ·· ووجد الملك الشاب فى كلوتيلد بنـــت الثامنة عشر اليتيمة نزيلة أحد الأديرة ضالته فتزوج منها ، أحبها وبادلته الحب ·· وكان على أحدهما أن يقنع الآخر بما يؤمن به ·· فالملك وثنى والملكة مسيحية ·

وضعت الملكة مولودها الأول ، فأسمته أنجومير وعمدته فى

المعبد ، ولم تمض أيام حتى مرض الطفل ومات ٠٠ فارجع الملك موته الى فكرة تعميده وحزن حزنا شديدا ولكن الملكة وضعت مولودا آخر أسمته ميروفنجيان وقامت بتعميده دون علم الملك ، وبعد أيام مرض الطفل فارتعدت كلوفيس وتوتر الملك ٠٠ وأخذت الملكة تصلى بينما كان الملك مشغولا برد جيش الالامون عن اقليم الالزاس ٠٠ ونجحت صلوات الملكة التى استطاعت أن تقنع الملك بدخول الدين وشكر الله لنجاة ابنه وبلده فى وقت واحد ٠

الملكة التى خدعت اكثر من غيرها فى التاريخ :

هذا هو عنوان القصة الثانية من قصص الحب فى تاريـــخ فرنسا ، تلك القصة التى تتناول حياة الملكة نانتيلد التى تزوج منها الملك داجوبير بعد قصة حب عاصفة نقلتها من صفوف المغنيات فى الحفلات والمناسبات الى قمة السلطة فى فرنسا ٠

واعتقدت الملكة انها أصبحت المرأة الوحيدة فى حياة الملك حتى انها كانت تقيم له الحفلات التى تدعو اليها زميلاتها السابقات من المغنيات ، ولم يترك الملك واحدة منهن الا وأقام معها علاقة دون علم الملكة ٠٠ حتى وضعت الملكة أول مولود لهـــا ، فقرر الملك ان ينعزل بها وبالطفل فى منطقة كليبياكوس ، وكانت المرة الأولى التى لم تخدع فيها الملكة ٠

ولكن الملك الشاب تزوج من ثلاث زوجات دفعة واحدة بالاضافة اليها ، ولكنها بحكمتها لم تدمر حياتها ولا حياة المملكة حتى مـات الملك عام ٦٣٨ عن ست وثلاثين عاما فقط وتولت هى الحكم حتى توفيت بعد أربع سنوات من موت الملك ٠

ويستمر هذا الجزء فى تناول قصص حكام فرنسا وبصـــفة خاصة شارلومانى الذى تولى الحكم عام ٨٠٠ ميلادية ٠

ومن قصص شارلومانى أنه تزوج من تسعة وافاد من كل واحدة منهن فى ادارة شئون الحكم ٠٠ اما الزوجة الأولى فقد كانت تتمتع بجمال رائع وهى التى انجبت ولى العهد وهى فى الثامنة عشرة ، فاعطت الملك الامان لحكم بسلالته واما الزوجة الثانية فهى ابنة الملك لومبار التى لعبت دورا أساسيا فى انهاء الصراع التقليدى بين الملكين المتجاورين ٠٠ ولكنها توفيت فجأة فى مطلع شبابها ٠٠ بينما كانت الزوجة الثالثة هى ابنة الكونت الالمانى الذى مات حسرة على زواج ابنته الشابة من الملك الذى ناهز الستين من عمره ، ومع هذا فقد أدى هذا الزواج الى توطيد العلاقات بين فرنسا والمانيا على مدى التاريخ ٠

وهكذا الحال بالنسبة للزوجات الأخريات ٠

ومن قصص الجزء الثانى قصة المرأة التى وحدت فرنسـا وانجلترا ، انها اليانور ابنة الملك هنرى الثامن التى تزوجت من الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا ٠٠ وكاد هذا الزواج الا يتم بهطول الامطار المستمرة على باريس من ليلة ٥ مارس ١٥٢١ حتى ١٥ مارس من العام نفسه ، لولا طلوع الشمس واتمام الزفاف الذى ملأ شوارع باريس ٠

ويستطرد المؤلف جى بريتون فى سرد قصص الحب المتنوعة فى تاريخ فرنسا والتى اثرت بالتالى فى هذا التاريخ ٠

فكما عملت امرأة على توحيد فرنسا وانجلترا ، تسببت امرأة أخرى فى عداء سياسى بالغ بين البلدين المتجاورين ٠٠ انهـا مونبونسييه زوجة هنرى الثالث التى أحبت رجل الدين جاك كليمون ٠٠ وقبل أن ينفذ الملك حكم الاعدام فى هذا الرجل الذى اغـرى زوجته ، يتقدم كليمون من الملك ليطلب عفوه ولكنه يغافله ويطعنه بالسكين فى صدره فيرديه قتيلا ، وتقع الازمة السياسية بين البلدين بعد ان تولت فرنسا تنفيذ حكم العدالة فى القس المعتدى ٠

ونعبر الاجزاء الأخرى المليئة بقصص الحب المتنوعة فى هذا الكتاب الضخم الثرى ، لنصل الى الجزء الثامن والمخصص تقريبا لمغامرات نابليون قائد فرنسا الشهير ٠

ومن قصص نابليون العاطفية علاقته الحميمة بمارى تيريز ابنة التاسعة عشرة البالغة الجمال والتى كان يفضل قضاء الوقت معها حتى ولو على حساب الاشراف على تنظيم الدولة وتصريف أمورها على الرغم من حبه الشديد للتنظيم والادارة والتخطيط ٠

كما كانت مارى تيريز تشغل الامبراطور حتى وهو بعيد عنها فى مهمة سياسية أو حربية بالرسائل العاطفية الملونة والمعطرة ٠٠ وخاصة تلك الرسالة الحارة التى انبأته فيها بوضعها لمولودهمـــا الأول ، فترك كل شىء وعاد اليها ليقول كلمة شهيرة له « تركـــت الامبراطورية لأعود الى الامبراطورة » ٠

ويصور المؤرخون الصدام الفرنسى الروسى الذى وقع عــام ١٨١٢ على أنه صدام سياسى فى المقام الأول ، الا ان المقربين من البلاط الامبراطورى يؤكدون ان سبب هذا الصدام امرأة ٠٠ هذه المرأة هى دائما مارى لويز التى بزواجها من نابليون منعت زواجه المعد من شقيقة القيصر الصغرى ، الأمــر الذى أدى الى صـــدام شخصى بين الامبراطور والقيصر انتهى الى صدام عسكرى أو حرب بين البلدين الكبيرين ٠

ومع هذا ، مع كل هذا لم تظل مارى لويز وفية للقائد العظيم فبرغم تأثرها البالغ بموت زوجها الامبراطور فى التاسع عشر من يونيو عام ١٩٢١ تاريخ اعلان النبأ لأن موته كان فى الخامس من مايو على صخرة سانت هيلين ، الا انها اقامت علاقة غير طبيعيـــة وسابقة لانقضاء فترة الحداد وهى ثلاثة شهور مع نيبرج احد القادة المقربين فى جيش نابليون وفى مكتبه الاستشارى ٠

وكان نابليون قد اوصى بتسليم زوجته مارى لويز « قلبه » بعد الموت اعزازا لها وحبا ولكنها كانت قد أحبت غيره فرفضت هذه الذكرى النادرة وتلك القطعة الحية الميتة من جسم القائد العظيم والمخدوع معا ، فقط من امرأة ٠

وهكذا يصور الكتاب كيف أن الحب أو قصص الحب لعبت دورا هاما وأساسيا فى تاريخ فرنسا منذ العصور الوسطى وحتى قرننا العشرين ، وان لم يتسع المجال لذكر نماذج أخرى كفيلة بالقاء الضوء مشعا وكاملا على تلك الرؤية الغريبة للتاريخ وصانعى التاريخ كما التقطها المؤلف الفرنسى البارع جـــى بريتون والذى دخـــل بدراساته هذه التاريخ ٠

كُتب أخرى .. للمؤلف

مهاجر بريسبان ــ مسرحية جورج شحادة دار المعارف ١٩٦٩

الآلة الجهنمية ــ مسرحية جان كوكتو ــ الانجلو ١٩٦٩

انفعالات ــ قصص ناتالى ساروت ــ هيئة الكتاب ١٩٧١

دقات المسرح ــ دراسات ونقد تطبيقى ــ هيئة الكتاب ١٩٧٣

ليلة القتلة ــ مسرحية خوذيه تريبانا ــ هيئة الكتاب ١٩٨٠ ·

كهف الحكيم ــ دراسة عن أهل الكهف ــ دار المعارف ١٩٨٠

شباب هذا العصر ــ رؤى ودراسات غربية ــ المركز الجامعى ١٩٨٠ ·

صرخات فوق المسرح ــ رؤى ودراسات غربية ــ دار المعارف ١٩٨٠ ·

جرنيكا ·· أزمة العصر ــ رؤى ودراسات غربية ــ دار المعارف ١٩٨١ ·

سينما نعم ·· سينما لا ــ رؤى ودراسات غربية ــ هيئة الكتاب ١٩٨٢ ·

دون كيشوت ــ مسرحية ايف جامياك ــ هيئة الكتاب ١٩٨٦ ·

الجحيم ــ رواية هنرى باربوس ــ هيئة الكتاب ١٩٨٦ ·

نبض العصر ـ دراسات ونقد تطبيقى ـ كتاب المواهب ١٩٨٦ ٠

فصل فى الكونغو ـ مسرحية ايميه سيزير ـ هيئة الكتاب ١٩٨٧ ٠

ليلة القدر ـ رواية طاهر بن جلون ـ هيئة الكتاب ١٩٨٨ ٠

قمم ٠٠ عربية وغربية ـ حوارات وندوات ـ الشركة العربية ١٩٨٨ ٠

● تصدر :

الوان العصر ـ دراسات تشكيلية وأشعار

عصر الشك ـ دراسة لناتالى ساروت

المضيفة الحسناء ـ مسرحية كارلو جولدونى

رسائل من مصر ـ نينيه والثورة العرابية

هؤلاء المفكرون ـ دراسات فلسفية

المحتــــوى

رقم الايداع ٥٨٨٨/٨٨
الترقيم الدولى ٨ ـ ١٩٢٨ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب